أوضاع الجزيرة العربية في القرن الثالث الهجري

يقسم المؤرخون خلافة العباسيين إلى عصرين عصر قوة أول وعصر ضعف ثان، وفي العصر الأول تمكن العباسيون من بسط سيادتهم على كل رقعة الخلافة باستثناء الأندلس وأجزاء من شمال أفريقيا، كما تمكنوا من القضاء على الثورات التي هاجت ضدهم، أما في العصر الثاني فقد أدى الضعف المتنوع الأسباب إلى خروج كثير من الأقاليم عن سيطرتهم، وسنجد آثار العصرين في اليمن ، ففي العصر الأول سار العباسيون من جهة نظام الحكم سيرة الأمويين قبلهم وأرسلوا الولاة إلى اليمن بمخاليفه المتعددة او مضموما إليها الحجاز، كما تفاوتت مددهم قصرا وطولا واستمر كذلك نظام الاستتابة، ومجمل القول أن اليمن وفي العصر العباسي الأول عرفت ولاة عباسيين أقوياء تمكنوا من ضرب الثورات التي قامت ضدهم خاصة في حضرموت زمن الوالي معن بن زائدة الشيباني الذي ولي اليمن لأبي جعفر المنصور وجهات تهامة والساحل زمن الوالي حماد البربري الذي ولي اليمن لهارون الرشيد ، والذي عانى من ثورة قام بها الهيصم بن عبد الصمد الحميري استمرت فترة طويلة، لتتحول بعدئذ إلى ثورة للإطاحة بالوجود العباسي في اليمن، وقد استعمل حماد البربري الشدة والخداع في القضاء على هذه الثورة بموافقة هارون الرشيد تذكر المصادر إن عهد حماد كان عهد استقرار وأمان وخصب وعمار، وكن كثرة الثورات هو ما سيمهد عند ضعف الدولة العباسية لتكون اليمن مركزا لنشوء الدويلات المنفصلة أو المستقلة عن الخلافة العباسية ، ويمكن أن نقرر انه حتى أوائل القرن الثالث الهجري كانت اليمن ولاية تابعة للدولة العباسية مباشرة حتى مع وجود دولة بني زياد التي ساهم المأمون في إنشائها في تهامة عام 203 هـ.

وقد عانت اليمن مثل غيرها من بقاع العالم الإسلامي من المجابهات الدموية بين العباسيين وبني عمومتهم العلويين الذين قاموا بثورات متكررة للإطاحة بحكم بني العباس بحجة أن بني العباس مغتصبون للخلافة وأن الأحق بها هم العلويون،

وقد جرب أحد العلويين حظه في اليمن للحصول على نطاق جغرافي يحكمه وهو إبراهيم بن موسى الذي تنعته المصادر بالجزار، ويكفي لقبه هذا دليلا على كثرة سفكه الدماء بين أهل اليمن، ومع أنه حورب من القوى المحلية وولاة العباسيين، إلا أنه وهو يفر في جهات اليمن مهزوما أمام القوى المحلية وجيوش العباسيين يتم تعيينه واليا رسميا على اليمن من قبل الخليفة العباسي المأمون الذي كان كما يبدو يجهل سيرته في اليمن، لكن كان للتعيين صلة برغبة المأمون في جعل الخلافة من بعده علوية ، إذ عين المأمون أخا إبراهيم الجزار هذا، على بن موسى الملقب بعلى الرضا وليا للعهد، ولبس المأمون اللون الأخضر شعار العلويين، وقد أدت هذه الخطوة المختلف على تفسير دوافعها بين المؤرخين من قبل المأمون إلى ردود أفعال عند باقي العباسيين وأعوانهم من الخراسانية في بغداد انتهت بعزل المأمون عن منصبه وتعيين عمه إبراهيم بن المهدي خليفة بدلا عنه، ولما تدارك المأمون موقفه بموت أو بسم على الرضا هذا عاد إلى بغداد عباسيا بلونه الأسود، وهذا الاضطراب الذي شهدته بغداد شهدته كذلك اليمن ، أولا لتثبيت سلطة إبراهيم الجزار الشرعية، ثم لعزله وإقصائه بعد انقلاب المأمون على العلويين،

هذه الأحداث التي وقعت مطلع القرن الثالث الهجري غذت القوى المحلية برغبات في الانفصال عن الخلافة العباسية وهم يشهدون غيرهم من الولاة والمتطلعين إلى السلطة يحاولون الانفصال والاستقلال، ويبدو أن الخلافة العباسية قد أدركت توجه أهل اليمن نحو الاستقلال من جراء الثورات الكثيرة التي كانت تقع في المرتفعات والسهول، فقامت بدعم حكم في جهات تهامة هو حكم آل زياد السني في العام 203هـ كي تضمن على الأقل بقاء الطرق التجارية البحرية بعيدة عن تقلبات الأحوال السياسية في المرتفعات وهي التقلبات والصراعات العنيفة على السلطة، بين زعامات قبلية ومذهبية ستستغرق ما يناهز الأربعة القرون ابتداء من نشوء الدولة الزيادية في تهامة وانتهاء بوقوع اليمن تحت الحكم الأيوبي في عام 569هـ ،

وكان عباد بن عمر الشهابي الحميري الصنعاني والي قسم صنعأ ومخاليفها ( 216 – 218 هـ ) حتى وفاة الخليفه المامون بن هارون الرشيد ( سابع الخلفأ العباسيين ) واستمر عباد الشهابي والياً لصنعأ ومخاليفها في اوائل خلافة المعتصم بن الرشيد ( 218 – 227 هـ ) ثم انتهت ولاية عباد ( 227 – 232 هـ ) وعهد المتوكل بن المعتصم ( 232 – 247 هـ ) ثم المنتصر ( 247 هـ ) ثم المستعين ( 248 – 252 ) ثم المعتز والمعتمد ( 256 هـ ) .. وقد خاض الولاة العباسيون – وكان اغلبهم من العجم – سلسلة من المعارك ضد (( ابو يعفر عبد الرحيم الحوالى الحميري – صاحب شبام كوكبان )) الذي شن حروباً على اولئك الولاة من عام 225 هـ وارسل قوة بقيادة طريف بن ثابت ( الكباري الحاشدي ) كادت تستولى على مدينة صنعاء ( عام 227 هـ ) وقد تولى يعفر بن عبد الرحيم ( 247 – 259 هـ ) وانتهى الصراع عام 259 هـ حيث كتب الخليفه العباسي بولاية محمد بن يعفر الحوالي على صنعأ ومخاليفها .. ويذهب بعض الدارسين الى تحديد بداية الدوله اليعفريه بعام 225 هـ (( اى منذ كان عبد الرحيم الحوالي نائبا للوالي العباسي بصنعاء )) .
2 – وقد حكم محمد بن يعفر الحوالي من عام 259 هـ الى عام 270 هـ وكان رجلاً صالحاً وقام باعمال تحسين في الجامع الكبير بصنعأ وببنأ منارة في الجامع . .. وكان زعمأ مناطق مخاليف صنعأ بمثابة نواب له ، منهم { الدعم بن ابراهيم البكيلي الهمداني – زعيم مناطق بكيل} وبنوطريف والضحاك الحاشدي ( حاشد / ريده ) والفضل بن يونس ( الجوف ) وبنو عباد الاكيلي الخولاني زعمأ ( صعده ) وبنو الحارث بن كعب ( زعمأ نجران ) وابن الرويه ( مراد ) وغيرهم .. ثم تولى الحكم { ابراهيم بن محمد بن يعفر 271 هـ - 285 هـ } فانقلبت عليه البلاد وحاربه الدعام واخرجه من صنعاء فتراجع الى شبام ونواحيها وبات قسم صنعاء دويلات وحروب تعاظمت بعد عام 284 هـ حتى تولى اسعد بن ابى يعفر الحكم ( 286 – 293 هـ )
3 – في عام 284 هـ بايعت احد قبائل صعده الهادي يحي بن الحسين الرسي العلوي فاصبح إماما فى صعده فتصدى له الزعيم احمد بن عباد الخولانى زعيم قبائل الربيعه بن سعد بن خولان بصعده وبنوالحارث بن كعب زعمأ نجران وتواصلت الحرب في صعده الى عام 287 هـ ثم انسحب احمد بن عباد من صعده واستدعى بعض زعماء صنعاء الامام الهادي فدخل صنعاء عام 288 هـ فدارت معارك عنيفه فاضطر الهادي العوده الى صعده عام 289 هـ بعد ان تحطمت اماله واصبح الحفاظ على الحكم في صعده نفسها ونجران يتم وسط بحر من الدماء والخراب .
جـ - الواقع العربي الاسلامي الخارجي في ذلك العهد
1 – كان عهد الخليفه المأمون امتداداً للعصر العروبي الاسلامي الذي كان يتميز [ منذ عهود الخلفأ الراشدين وفي عصر الخلفأ الامويين وعهد الخلفأ العباسيين السبعه الاوائل ] بان العرب هم ولاة وامراء ووزراء وقادة الدوله وساساتها وعظم جندها ،، لذلك كان لليمنيين دور قيادي كبير في ارجأ ولايات وامصار الدوله حتى عهد المأمون الذي كان من كبار الولاة الامراء في عهده { طاهر بن السين الخزاعي اليماني امير الشام والموصل والمشرق } والامير المطلب بن عبد الله الخزاعي امير مصر ( 198 هـ - 200 هـ ) – [ وفي عهده تم استكمال فتح جزيرة كريت كما افتتح اسد بن الفرات والفضل بن جعفر الهمداني جزيرة صقليه وسردينيه منذ عام 212 هـ ( 827 م ) – كما سلف النبيين ] – وامير مصر سليمان بن غالب البجلي ( 201 هـ / 204 هـ ) ثم عبد الله بن طاهر الخزاعي ( 210 هـ ) وامراء خراسان وغيرها ..
2 – وفي عهد الخليفه المعتصم ( 218 – 227 هـ ) استمرت عروبية قيادة الدوله نسبياً ، وكان بنو طاهر الخزاعيون يحكمون بلاد خراسان وسجستان واغلب فارس وما جاورها – [ الدوله الطاهريه 205 – 259 هـ / 820 – 872 م ] – وكان العرب يمثلون غالبية في جيش المعتصم في غزوة عموريه المشهوره التى كان جيشها يضم {{ مدد اليمن }} وقد خلدت تلك الموقعه قصيدة الشاعر اليماني الاصل ابى تمام الطائى التى اولها :- {{ السيف اصدق انباء من الكتب }}
\*غير ان عهد المعتصم شهد ايضاً جلب الالاف من الترك والعجم اتخذ منهم المعتصم جيشه الخاص وانتقل من بغداد ( العروبيه ) الى ( سامراء ) التى جعلها عاصمة ومقراً للخليفه .. ثم ازداد نفوذ الترك والعجم في عهد الواثق بن المعتصم ( 227هـ - 232 هـ ) مع استمرار دور قيادي عربي طفيف ..
3 – ثم منذ عهد المتوكل بن المعتصم ( 232 – 247 هـ ) بدأ مايسميه الدارسون { العصر العباسي الثاني } فقد امسك الترك والموالى والعجم بزمام الحكم في بغداد والعراق ، واصبح الخلفاء العباسيون مجرد واجهة شكليه والعروبة بايديهم – وعلى سبيل المثال فقد قتلوا المتوكل ونصبوا ابنه المنتصر ( عام 247 هـ ) ثم عزلوه ونصبوا المستعين عام 248 هـ ثم قتلوه ونصبوا المعتز بالله ثم حبسوا المعتز بالله في سرداب حتى مات جوعاً عام 255 هـ ونصبوا المهدي ثم خلعوه وقتلوه عام 256 هـ وهكذا .
\*\* كذلك اصبحت بلاد فارس ومشارقها ممالكاً اعجميه حكامها عجم مثل الدوله السامانيه [ 261 – 395 هـ ] – والدوله الصفاريه [ 253 هـ - 298 هـ ] والدوله الطبرستانيه الزياريه .. بينما استقلت بحكم مصر وبعض الشام الدوله الطولونيه [ 254 هـ - 292 هـ / 868 – 904 م ] وكان الطولونيون من الموالي العجم ثم تلاهم الاخشيديون الموالي حكام مصر والشام [ باستثنأ حلب الحمدانيه ] وقد استمر الاخشيديون من 324 – 359 هـ وكان من اشهرهم ( كافور الاخشيدي العبد ) .. اما بلاد المغرب فكانت فيها اربع دول منها دولة الادارسه ودولة الاغالبه .. اما الحجاز فكانت نهباً للاعراب والعصابات .. اما اليمن فقد اصبح عدة دويلات وكيانات ( بعد عام 270 هـ ) .. اقول لذلك كله انضوى على بن الفضل الحميري في دعوة ذات مشروع وحدوي كبير .
ثانياً : عهد ابى الفتح على بن الفضل الحميري
( ومعالم عهود الخلفأ الفاطميين الاوائل )
\*منذ الف سنة وحتى اليوم لم ينقطع الجدل والاختلاف حول ثلاثة امور مترابطه ؛ اولها : الزعيم اليمني الثائر ابو الفتح على بن الفضل الخنفري الحميري . وثانيها : حول عبد الله المهدي اول الخلفاء الفاطميين العُبيديين الذي بدأ على بن الفضل ثورته ودعوته في اطار الدعوه الى خلافة المهدي واقامة دولة عربية اسلاميه كبرى تزعامة المهدي . وثالثها : حول تلك الدعوه نفسها التى سميت بالاسماعيليه والفاطميه وسماها خصومها بالباطنيه والقرامطه وغيرها من التسميات .
فما هي معالم حقيقة ذلك كله ؟ ..
أ – كان على بن الفضل من بني خنفر بن سيار بن زرعه بن صيفي بن حمير الاصغر بن سباء الاحمير.. وهم بقية بيوت ملوك حمير التبابعه ومن اذواء واقيال حمير بعد الاسلام .. وفيهم قال الشاعر محمد بن ابان الخنفري الحميري :-
{{ .. من ابناء صيفي ذوى الملك والحجا \* واهل المساعي والحلوم الرواجح
جروا في نظام المُلك من ارث جدهم \* على رغم انف من حسود وكاشح }}
\*وكان بنوخنفر ( في سرورحمير ) وبنوشهاب ( في صنعاء ) وبنوعباد الاكيلى الخولاني ( في صعده ) وبنوالدعام ( في بكيل / همدان ) وبنوطريق الكباري الحاشدي ( في حاشد ) وبنوالضحاك الحاشدي ( في ريده ) وبنوطريف الحكمي ( في عسير ) وبنوالحارث بن كعب ( في نجران ) وابو الفتوح الخولاني ( في خولان ) يمثلون الزعامه الوطنيه اليمنيه في ذلك العصر .. وقد سقط العشرات من بني خنفر وبني شهاب في المجزره التى قام بها الامام ابراهيم العلوي الجزار بصنعأ واخبارها مذكورة بالتفصيل في كتاب الاكليل ( جـ 2 ) وكان بينهم عدد من عمومة واقارب على بن الفضل .. اما بنو عباد فكان منهم { احمد بن عباد الاكيلي الخولاني } الذي تصدى للامام الهادي في صعده وحاربه عدة سنوات وله قصائد في الاكليل ( جـ 1 ) واما بنوشهاب فكانوا يتصدون للابناء ( الفرس ) بصنعأ وللعمال العباسيين الاعاجم ويمثلون زعامة ادبيه وفكريه وسياسيه للتيار الوطني .
\*\* ويمكن القول بشئ من الثقه ان توحيد اليمن بزعامة شخصية يمانية قحطانيه كان يمثل هدفاً للتيار الوطني اليمني – آنذاك – فقد كان اليمن مقسماً الى عدة دول وكيانات اهمها :-
أ – الدوله الزياديه في تهامه وعاصمتها زبيد وتمتد الى الليث ( جنوب مكه ) وترتبط بالعباسيين في بغداد
ب – مملكة ابن ابى العلأ الاصبحي وتشمل عدن ولحج وابين وسرورحمير وسرومذحج وحضرموت [ وترتبط ببني زياد ]
ج – مملكة جعفر المناخي – صاحب ابن زياد – وتشمل الجند ومذيخره والعدين الى قرب ذمار وعاصمتها مذيخره
د – إمارة بني المغلس وعاصمتها ( الجوُه / بالمعافر ) وإمارة بني الكرندى وعاصمتها ( جبا ) المعافر
هـ - الدوله اليعفريه – المرتبطه بالعباسيين – في صنعاء ومخاليفها مع وجود زعامات مستقله بمناطقها .
و – الدوله الهادويه – في صعده ونجران – ويعارضها بنوعباد الخولانيين – وهكذا ...
\*\*\* والى جانب ذلك الواقع السياسي الممزق كانت الحروب تعصف باليمن – ( خاصة في محور صنعاء صعده ) بين اليعفريين والهادويين وآل الدعام وبني عباد الخولانيين وبني طريف وكان الصراع داخل صنعأ بين الابنأ ( الفرس ) واشياعهم وبين بني شهاب يكاد لا ينقطع وقد سجلته قصائد ومعارك في كتاب الاكليل .. وقد كان لتلك الحروب والصراعات او المنازعات تأثيراتها الخطيره على الواقع الاقتصادي وصل الى حد المجاعه في بعض الاحايين ، بينما كانت قلة من الزعامات والامراء تكتنز من الاموال ماقد {{ تنؤ بمفاتيحه العصبة اولوا القوه }} خاصة ابن ابى العلأ الاصبحي وجعفر المناخي وابن زياد والابنأ ( في صنعاء ) .. ناهيك عن الظلم والمظالم التى كان من نماذجها ان { جعفر المناخي قام بقطع ايدى ثلثمائة شخص من اهل عزلة دلال في بعدان }} – ظلماً وعدواناً – وان الامام الهادي يحى بن الحسين كان يحرق المزارع والقرى ويقطع الاعناب ويهدم المآثر في صعده وصنعأ كما ينطق بذلك كتاب ( سيرة الهادي ) نفسه .
ب – اما على الصعيد الخارجي فكانت الدوله العربيه الاسلاميه الكبرى قد تفككت واصبح الخلفاء العباسيين في بغداد مجرد واجهة شكليه والعربه بيد الترك والعجم الذين كانوا الحكام الفعليين للعراق والمناطق التى ماتزال مرتبطه بالخلفأ العباسيين .. وقد اسلفنا الاشاره الى عدد من اولئك الخلفأ العباسيين مثل الخليفه المنتصر الذي قام الترك والعجم بتنصيبه عام 247 هـ ثم عزلوه ونصبوا المستعين عام 248 هـ ثم قتلوه ونصبوا المعتز بالله ولكنهم حبسوه في سرداب حتى مات جوعاً ثم نصبوا المهتدي الذي مالبث ان خلعوه ثم قتلوه عام 256 هـ وهكذا بينما كان الترك والموالى والعجم يحكمون البلدان الاخرى ( الى جانب العراق ) مثل الدوله السامانيه في خراسان وغيرها ( 261 – 395 هـ ) والدوله الصفاريه في فارس وغيرها ( 253 – 298 هـ ) والدوله الطبرستانيه ثم الزياريه في طبرستان .. والدوله الطولونيه في مصر وبعض الشام ( 254 – 292 هـ / 868 – 904 م ) ثم لاموالى الاخشيديين حكام مصر واغلب الشام ( 324 – 359 هـ ) وبنو بويه الفرس المسيطريين على الخلفا العباسيين والعراق وغيرها .. ان ذلك الواقع هو الذي دفع الشاعر الكبير ابو الطيب المتنبي اليماني الاصل ( 303 – 354 ) الى ان يقول {{ لاتفلح عُرب ملوكها عجم }}
... والى ان يقول {{ ولكن الفتى العربى فيها \* غريب الوجه والفم واللسان }} ..
\*\* ولقد اختفى الدور اليمني القيادي الذي راينا معالمه في عصور الخلفأ الراشدين والامويين والعباسيين الاوائل ، اختفى في هذا العصر ( العباسي – العجمي ) الذي فيه قال الشاعر يزيد المهابي الازدي للعباسيين
أذا قريش ارادوا شد ملكهم \* بغير قحطان لم يبرح به أود
.. لما اعتقدتم اناساً لا حلوم لهم \* ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على ( قحطان ) نعمتكم \* حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم المجد والانساب تجمعكم \* والاصل والدين والارحام والبلد
بل ان احد الخلفأ العباسيين هؤلأ {{ امر باسقاط العرب من الديوان وقطع اعطياتهم }} وكانت ثورة قبائل لخم وجذام في مصر ، وثورة { ابوحرب المبرقع اليماني } في الاردن وثورة ابن الصفار عام 265 هـ تعبيراً عن السخط والغضب العربي من ذلك الواقع ، ولكن تلك الثورات وامثالها كانت سرعان ما تخمد بسبب قوة وهيمنة العجم وبسبب انها لم تكن ذات تخطيط دقيق ومشروع كبير متكامل ان التخطيط السري الدقيق والمشروع المتكامل هو ما يميز الدعوه العربيه الاسلاميه ( السريه الاسماعيليه الفاطميه ) التى اقتنع بها على بن الفضل الحميري وعدد من اقطاب الدعوه حيث بايعوا – سراً – عبيد الله المهدي – [ الذي تزعم المصادر العباسيه وما اليها ان نسبه غير صحيح ، بينما ينقل ابن كثير عن صاحب كتاب تاريخ القيروان ، انه :- عبيد الله بن الحسن بن محمد بن على بن موسى بن جعفر الصادق .. وقال غيره : هو ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب }} [ ص 180 جـ 11 ] .
جـ - ثورة وعهد علي بن الفضل ( 270 هـ / 289 – 303 هـ )
1 – لاشك في ان دعوة على بن الفضل كانت في اطار الدعوه لعبيد الله المهدي ( الدعوه الاسماعيليه الفاطميه ) وتؤكد المصادر الاسماعيليه الفاطميه نفسها – ( كتاب افتتاح الدعوه للقاضي النعمان ) – ان على بن الفضل لم يكن يعرف شيئاً عن المذهب الاسماعيلي واسراره وانما كان عارفاً بالكتاب والسنه والادب ويتميز بالنجابه والذكاء .. وتدل القرائن والوقائع ان على بن الفضل بايع المهدي وانضوى في الدعوه لانها دعوة الى دوله عربية اسلاميه كبرى بزعامة خليفة عربي ( عبيد الله المهدي ) وانها دعوة تعطى لليمن واليمنيين دور قيادي كبير .. فقد كان من المتفق عليه ان يظهر المهدي ويبدأ عهده في اليمن – بعد تحقيق المراحل الاولى من اهداف الدعوه - .. كما ان توحيد اليمن بزعامة حاكم يماني قحطاني كان عامل جذب هام للعديد من اليمنيين ناهيك عن إزالة المظالم وتحقيق العدل .. وما سيكون لليمنيين من دور قيادي في ارجأ الدوله العربيه الاسلاميه اذا نجحت خطة قيامها بزعامة خلفأ فاطميين .
2 – بدأت الدعوه في اليمن ( حـ / عام 270 هـ ) على يد على بن الفضل في منطقة سروحمير ( وسط وجنوب اليمن ) وعلى يد منصور بن حسن الحوشبي ( الذي يقال له منصور اليمن ) في منطقة حجه ( قسم مخاليف صنعأ ) وقد اظهر المنصور الدعوه علناً وسيطر على مناطق من حجه وما جاورها واتخذها مقراً وقاعدة له ( من حـ / عام 274 هـ ) ثم ارسل منصور رجلاً من اهل صنعأ هو { ابو عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الصنعاني } الى بلاد المغرب ، حيث بدأ ابو عبد الله الصنعاني نشاط الدعوه في اواسط اليمنيين بالقيروان ونواحيها ( تونس / طرابلس ) واظهر الدعوه ( حـ / عام 280 هـ ) كما اظهر ابو سعيد الجنابي الدعوه في البحرين ومنطقة الخليج العربي ، واظهر ( ابو الفوارس ) الدعوه في الشام .. اما على بن الفضل فقد استمر في استمالة الناس وقام ببنأ حصن في ( جيشان ) وزيارة عدد من المناطق والمدن والاتصال بالعديد من الشخصيات والزعامات المحليه تمهيداً للثوره واعلان الدعوه في وقت – يبدو انه كان – محدداً سلفاً ، بحيث تكون الدعوه قد انتشرت وترسخت في اقطار عديده ( مثل الخليج العربي / البصره / الكوفه / الموصل / الشام / مصر / المغرب ) الى جانب اليمن التى كان من المقرر ان يصل اليها عبيد الله المهدى ويتم اعلان خلافته ( عام 292 هـ ) .
3 – في أوائل عام 289 هـ ( 900 م ) اعلن على بن الفضل دعوته في منطقة ( سروحمير ويافع ) ولم تكن باسم المهدي وانما – كما جأ في كتاب قرة العيون لابن الديبع – {{ اشترط على بن الفضل على الناس لامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتوبه من المعاصي والاقبال على الطاعات فاجابوه الى ذلك واخذ عليهم العهود بالسمع والطاعه }} – [ ص 189 ] – ثم الحق على بن الفضل هزيمة ساحقة بالسلطان { على بن ابى العلأ الاصبحي صاحب مخاليف لحج وابين والسروين وحضرموت }} [ ص 105 صفة جزيرة العرب ] ووجد على بن الفضل في خزائن ابن ابى العلأ ثروة عظيمه من بينها {{ ثلثمائة كيس من النقود }} او {{ سبعين بدره ، في كل بدره عشرة الاف درهم }} وغير ذلك من النفائس والثروات ... واخذ {{ يصرف الامول على تحسين اوضاع الناس الاجتماعيه والاقتصاديه وشراء الاسلحا ، وبناء حصون ، واطلق الدعاة في كل مكان ، وجأ الناس اليه زرافات ووحدانا ، فعاهدوه على السمع والطاعه فاشتد ازره واتسع نفوذه }} [ ص 262 و 279 – بين المدوالجزر / مصطفي غالب ] .
\*وفي عام 290 هـ انضوت سلطنة الجؤه والدملوه المعافريه تحت لواء على بن الفضل ، ثم تلتها {{ إمارة جبا وهي كورة المعافر وملكها ابن الكرندي الحميري }} – عام 290 هـ - ثم مملكة جعفر المناخي الكبيرة – مطلع عام 291 هـ - فلحق جعفر المناخي بابن زياد صاحب زبيد زتهامه فارسل ابن زياد جيشه مع المناخي لقتال ابن الفضل فسار اليهم ابن الفضل والتحم الجيشان في وادى نخله بتهامه فانهزم الجيش الزيادي وسقط المناخي قتيلا.

ان انتصار على بن الفضل في موقعة وادي نخله ( حيس / تهامه ) كان – كما جأ فى تاريخ ابن الديبع – {{ في رجب عام 291 هـ }} .. وكان الجيش الذي انهزم هو جيش ابن زياد حاكم قسم زبيد {{ وهو زياد بن ابراهيم بن محمد بن زياد }} فاصبح الطريق مفتوحاً لعلى بن الفضل لانضوأ زبيد وبقية تهامه تحت لوأ دولته ، وتدل القرائن على ان ذلك هو ما حدث بالفعل وان ابن زياد هرب من زبيد آنذاك ( اواخر عام 291 هـ ) وسار ابن الفضل من زبيد الى المهجم فادخلها فى طاعته وذلك – كما يذكر عماره – ( عام 292هـ ) – وقد قام ابن الفضل بتولية { احمد بن على الحكمي } نائباً له في زبيد ، ثم بعد مسير على بن الفضل الى صنعأ ودخولها في سلطان دولته استعاد ابن زياد زبيد وتهامه بقوات بعثتها الخلافه العباسيه بقيادة {{ مظفر بن حاج المُسود }} – اوخر عام 292 هـ - [ وكان اغلبهم من الموالى والعجم لان الدوله العباسيه وخلفائها كانت قد اصبحت تحت سيطرة الموالى والترك في العراق كما هو معروف ] – فسار على بن الفضل من صنعأ الى تهامه وزبيد في ربيع 293 هـ .. حيث يذكر الخزرجى ان علي بن الفضل سار من صنعأ {{ في مائتىّ الف مابين فارس وراجل }} بينما يذكر ابن الديبع انه سار مع على بن الفضل {{ ثلاثون الفاً مابين فارس وراجل }} .. وقد الحق على بن الفضل الهزائم بابن زياد والجيش العباسي ( الاعجمي ) في ( المهجم ) ثم في ( واقر بين الكدرا وزبيد ) ثم دخل على بن الفضل ( الكدرا ) وذلك {{ في جماد الثاني 293 هـ }} ثم انطلق الى زبيد حيث دارت موقعة حاسمه [ ربما في موضع ( عرق ) وتقع ( عرق ) بمواجهة باب سهام وهو احد ابوب مدينة زبيد ] حيث تذكر المصادر انه {{ هاجم على بن الفضل من ناحية الشمال وذو الطوق اليافعي – قائد جيش على بن الفضل – من ناحية الجنوب ، فهزما ابن حاج المُسعود – ( مجيشه العباسي الاعجمي ] – وهرب ابن زياد ، ودخل على بن الفضل مدينة زبيد }} – في رجب 293 هـ - وربما ان موقهة عرق بزبيد هي التى قصدها الحسن الهمداني صاحب الاكليل حين قال لخصومه من الابنأ والطبرستانيين والرسيين ( عام 320 هـ ) :-
إن سيوفاً جلّت وجزه بني قحطان \* لما اعتدت ذنائبهُا
بسفح قران أو رُبى عرق \* ايام أذكى الحروب حاطبها
علىُّ ابن فضل ، وقد أطاف بهاً \* في عدة كالدَّبى كتائبها
إن تطلبوها فًفي عواتقنا \* مُرتقبات لمن يراقبها
\*\* اما صنعأ فكان على بن الفضل قد دخلها وانضوت تحت رايته في شهر محرم عام 293 هـ بمعاضدة بني شهاب الذين كانوا يمثلون الغالبيه اليمنيه بمدينة صنعأ ، حيث فتح مهلب الشهابي واصحابه الشهابيون باب مدينة صنعأ لعلى بن الفضل فدخلها في خمسة الاف فارس من فرسانه فهرب اسعد بن ابى يعفر الحوالى من صنعأ وهربت جماعات من الابنأ والجفاتم (( جنود عباسيين عجم )) ثم انضوى قسم صنعأ تحت لواء على بن الفضل .. كما انضوى زعمأ قبائل قسم صنعأ تحت لواء ابن الفضل وهم بنو الدعام – زعمأ همدان وحاشد وبكيل آنذاك – وابو الفتوح الخولاني زعيم خولان وابن جراح الطريفى وابن عباد الاكيلي
5 – في عام 292 هـ ( 904 م ) كان عبيد الله المهدي وصل من الشام الى مصر متنكراً بهيئة التجار ، وكان يريد القدوم من مصر الى اليمن – كما كان مقرراً وكما كان على بن الفضل يتوقع – ولكن القاضي النعمان صاحب كتاب ( افتتاح الدعوه ) يقول انه وصل الى المهدى بنأ اندلاع بين على بن الفضل ومنصور بن حسن الحوشبي في اليمن فصرف المهدى النظر فى المسير الى اليمن .. ولعل النعمان اختلط عليه الامر فالذي حصل انما هو وصول جيش المظفر بن حاج المسود العباسي الى اليمن لمحاربة على بن الفضل ( 292 هـ ) والحرب بين جيش المظفر العباسى وعلى بن الفضل في تهامه ، تلك الحرب التى قبل ان ينتصر فيها على بن الفضل ( في رجب 293 هـ ) الغى المهدي فكرة القدوم الى اليمن ، وقرر المسير الى المغرب حيث كان ابو عبد الله الصنعاني قد حقق ويحقق نجاحاً كبيراً .. وفي عام 296 هـ ظهر عبيد الله المهدي في المغرب ( طرابلس / تونس ) حيث كان ابو عبد الله الصنعاني قد اسقط دولة الاغالبه وامسك بزمام الحكم .. وفي عام 297 هـ ( 909 م ) تم في مدينة القيروان اعلان خلافة المهدي والخطبة له ببلاد المغرب ، وتتفق كافة المصادر على ان ذلك كان بجهود { ابى عبد الله الحسين احمد الصنعاني } وقد تحدث عنه ابن خلدون بتوسع وانه موُسس دولة العبيد بين الفاطميين ببلاد المغرب – ( وقد مات قتيلاً عام 298 هـ ( 910 م )) –
\*\* وفي حـ / عام 297 هـ ( 909 م ) كان على بن الفضل بمدينة صنعأ ، وكان انقساماً قد وقع بين اقطاب الدعوه المهديه الفاطميه واعلن ابو سعيد الجنابي ( البحرين / منطقة الخليج ) استقلاله عنها وكذلك فعل بعض اقطاب الدعوه في الشام والعراق .. وكان من الاسباب الرئيسيه لاستقلال على بن الفضل عن الدعوه والبيعه لعبيد الله المهدي ظهوره واعلان خلافته بالمغرب بدلا عن اليمن .. وكانت المغرب بحكم موقعها الجغرافي لاتصلح عاصمة ومركزاً لدولة خلافة يراد لها ان تشمل الوطن العربي ، .. لذلك ولاسباب اخرى (( منها فشل الدعوه العراق والشام ومصر / رغم ان مناطقاً من العراق والموصل والشام كانت تحت نفوذ وسيطرة الدعوه المهديه الفاطميه بين الحين والاخر لعدة سنوات تاليه )) ..؛ اقول لذلك كله اكتفى على بن الفضل بنا حققته دعوته وثورته من توحيد اليمن بزعامته وإزالة المظالم وتحقيق العدل ، فاعلن عدم ارتباطه بالمهدي والدعوه الاسماعيليه الفاطميه وحارب واخضع منصور بن الحوشبي ( عام 298 هـ ) وبذلك خمدت الدعوه الاسماعيليه الفاطميه في اليمن – ولوإلى حين - .
6 – وقد استمر ابو الفتح علي بن الفضل الحميري خليفة ملكاً لليمن الى ان توفى عام 303 هـ بمدينة مذيخره التى كانت مقره الافضل رغم مسيره الى صنعأ ومكوثه فترات بها ( عام 293 هـ و 295 هـ و 297 هـ و 299 هـ ) .. وكان نواب وولاة على بن الفضل منهم :
(1)- {{ اسعد بن ابى يعفر الحوالي الحميري الذي قطع الخطبه لبني العباس وخطب لعلى بن الفضل وولاه على بن الفضل على صنعأ واغلب مناطقها وذمار الى خبان }}
(2)- بنو الدعام الهمداني زعمأ بكيل وهمدان
(3)- ابراهيم بن على الحكمي ( زبيد / تهامه / الى اعالى عسير )
(4)- ابو الفتوح الخولاني ( خولان وجهاتها )
(5)- احمد بن عباد الاكيلي الخزلاني ( نواحى صعده الى نجران )
(6)- ذو الطوق اليافعى ( جهات سروحمير )
(7)- قحطان بن عبد الله بن ابى يعفر الحوالى ( تزوج معاذه بنت على بن الفضل )
(8)- المهلب الشهابى / بنو شهاب ( جهات صنعأ )
(9)- بنو طريف البكاري ( حاشد )
(10)- عدد من الامراء والزعماء في بقية مناطق اليمن ..
\*\* وفي عهد على بن الفضل نشا وترعرع لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني صاحب الاكليل وكان مولده بمدينة صنعأ عام 270 هجريه .. وقد مات على بن الفضل ( عام 303 هـ ) وعمر الهمداني حوالى 33 سنه .
ثانياً : الافترأات .. ومعالم المرحله التاليه الى عام 345 هـ
1 – لقد تعرض عهد على بن الفضل والدعوه التى حمل لوائها لاءتهامات وافترأات تشمل القرمطه والكفر والالحاد وإدعاء النبؤه ، بل ونسب احد صنائع بني زياد والعباسيين المتعجمين واسمه ( الحمادي ) في كتاب قام بتأليفه عام 550 هجريه ، نسب الى على بن الفضل انه قال قصيدة تتضمن اباحة المحرمات وغيرها .. وهى القصيده التى اولها :-
{{ خذى الدف ياهذه واضربي \* نقيم شرائع هذا النبىّ }}
\*بينما تلك القصيده اوردها الحافظ العلامه ابن كثير صاحب تفسير القرآن الكريم في كتاب ( البدايه والنهايه ) وانها لمسيلمه الكذاب قيلت ايام مسيلمه – [ اى قبل على بن الفضل بمائتين وسبعين سنه ] – [ ص 341 جـ 6 / البدايه والنهايه ] – فلا علاقة لعلى بن الفضل ولالليمن بتلك القصيده .
\*اما الافترأات الاخرى فيكفي لاءدراك عدم صحتها قول العلامه الامام يحى بن الحسين الهادوىّ في كتاب ( انباء الزمن ) حيث قال {{ لم يشتهر عن على بن الفضل واتباعه من اهل دولته شئ من إباحة المحرمات غير انه اعرض عن التجسس على اهل الفساد ولم يعاقب }} [ أهـ ] وقد علق القاضي العلامه المؤرخ محمد بن على الاكوع الحوالي على ما جأ في كتاب انبأ الزمن قائلاً انها :- {{ كلمة تبرئ ساحة على بن الفضل من الموبقات وما رموه به من فظائع }} [ ص 188 قرة العيون ] .
2 – ان دعوة على بن الفضل في اطارها اليمني كانت تتضمن
(أ)- توحيد اليمن مما يعنى القضأ على كيانات وزعامات ذات مصلحة في التجزئه
(ب)- وكانت تتضمن ان يحكم اليمن حكام يمانيون قحطانيون هم احق بحكم وطنهم مما اثار عليه الابنأ ( الفرس ) والزياديين والهادويين وغيرهم
(ج)- وكانت تتضمن رفض وإنها الارتباط والتبعيه للخلفأ العباسيين المتعجمين وبني بويه الفرس في العراق ورفض المذاهب المرتبطه بالعباسيين والزياديين والهادويه .. وهنا تكتسب شهادة القاضي العلامه المؤرخ عبد الله الشماحي اهميتها حيث قال الشماحي {{ لقد حمل على بن الفضل دعوة تهدف الى وحدة اليمن والقضأ على الدعوات المذهبيه مما اثار عليه الهادويه والاسماعيليه والزياديين ( العباسيين ) فاثاروا ضده دعاية راجت بين الدهمأ وامتدت الى اليوم وهي لاوجودلها }} [ ص 109 / اليمن – الانسان والحضاره ] .
3 – ان افكار دعوة ودولة على بن الفضل لم تنقطع بوفاته ( عام 303 هـ ) فقد تولى الحكم بعده ابنه {{ محمد بن على بن الفضل 303 – 304 هـ }} ثم تحالفت الزعامات السابقه وعلى راسها { اسعد بن ابى يعفر الذي ولاه على بن الفضل على صنعاء } وبنو زياد والهادويه وغيرهم في القضأ على حكم { محمد بن على بن الفضل } عام 304 هـ واعادوا الوضع الى ما كان عليه قبل عهد على بن الفضل ، .. ولكن افكار دعوة وعهد على بن الفضل ( في اطارها الوطني اليمني ) وعبيد الله المهدي ( في اطار العروبي الاسلامي ) كان لها تأثير وجاذبية قويه لذلك استمرت حيث كان من معالمها :-
(أ)- في اليمن قاد انصار عهد ابن الفضل حركات قويه شملت احداها كل مناطق سروحمير ورداع ( عام 324 هـ ) – ضد سلطة اسعد بن ابى يعفر المرتبط بالخلافه العباسيه المتعجمه – كما خاض بنو الدعام معاركاً ضد السلطه الهاديه في اعالى اليمن ، وكذلك { مسلم بن عباد الاكيلي الخولاني } في صعده ونجران ضد سلطة الناصر بن الامام الهادي في صعده .. وحين قام الامام الناصر بن الهادي بحبس لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني في صعده ( بسبب مواقفة الوطنيه ) تلاحمت زعامات محور نجران وصعده وحاشد وقضت على دولة الناصر وعهده في صعده عام 322 هـ قضت على القاسم بن الناصر ( 326 – 345 هـ )
(ب)- وفي اليمن ايضاً ، حيث كان { اسعد بن ابى يعفر الحوالي } يمثل السلطه الشرعيه لقسم صنعاء – في ظل الارتباط بالخلفأ العباسيين ببغداد – ( 305 – 332 هـ ) – ثم الخطاب اليعفري ومحمد بن ابراهيم اليعفري ؛ يوجز ابن الدبيع الموقف قائلاً {{ لم تزل صنعأ بيد بني يعفر ومواليهم مع كثرة اختلاتهم وقيام من يقوم عليهم الى سنة 344 هـ }} ثم دخلت صنعأ في سلطان ابن الضحاك الحاشدي صاحب ومناصر لسان اليمن الحسن الهمداني مؤلف الاكليل والدامغه ، وقد سيطر ابن الضحاك ( عام 344 هـ و 345 هـ ) ثم عاد الى مقر سلطانه في ( ريده ) وتولى الامر بصنعاء موالى بني يعفر ( وردان ثم سابور ) وقاد معارضتهم {{ الاسمر بن ابى الفتوح الخولاني }} ..
\*\* اما قسم زبيد ( تهامه ) فقد تولى حكمه بعد دولة ابن الفضل :-
(1)- زياد بن ابراهيم الزيادي ( 305 – 311 هـ )
(2)- اسحاق بن ابراهيم ( 311 هـ - 371 هـ )
بينما قامت عدة دويلات صغيره مضاده وغير مواليه لهم ، اهمها دولة بني معن الحميريين في عدن ولحج الى حضرموت [ من حـ / 324 هـ ] وزعامات محليه في سروحمير وفي المعافر واب وغيرها ..
4 – ولقد كانت بعض الزعامات الوطنيه متعاطفة مع الدعوة والخلافة الفاطميه ( العُبيديه ) بل وكان في مناطق اليمن من يدعو ويخطب لهم كما كان الحال في مناطق من العراق ومن الشام ايضاً .. وذلك لان اولئك الخلفأ ظهروا كحملة مشروع عروبي اسلامي كبير .. وهم :-
(1)- عبيد الله المهدي ( 297 هـ - 322 هـ ) وكانت عاصمته مدينة ( المهديه ) التى اسسها في تونس ( عام 306 هـ ) وقد قامت دولته بجهود ابى عبد الله الصنعاني وعدد من الشخصيات امثال عمر بن البلوىّ القضاعي الحميري .. وقبائل صنهاجه وكتامه ولمتونه اليمنية الحميرية الاصل.

**عهد عبد الله بن قحطان اليعفري
.. حفيذ على بن الفضل ( 345 هـ - 387 هـ )
\*هو عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن ابى يعفر الحوالى الحميرى .. وامه { معاذه بنت على بن على بن الفضل الحميري } .. لذلك قال صاحب كتاب ( بلوغ المرام ) – تعليقا على اعلان عبد الله بن قحطان الخطبه للخلفأ الفاطميين العبيديين [ من حـ / عام 362 هـ ] ..، قال {{ كانت امه احدى بنات على بن الفضل ، فمن هنالك طرأت عليه }} [ أهـ ] – يعني العلاقه بدعوة الخلفأ الفاطميين ..
\*\* ان ماوصانا من تاريخ عبد الله بن قحطان يبدأ بعام 345 هـ حيث – كما فى تاريخ ابن الديبع – {{ كتب الاسمر بن ابى الفتوح الخولاني الى عبد الله بن قحطان وهو بشبام ان يقوم بالامر ، فخرج عبد الله بن قحطان الى منطقة السر ( بني حشيش ) فاقام من الاسمر بن ابى الفتوح اياماً }} [ انتهى ] .
\*\* آنذاك ( عام 345 هـ ) كان موالى بني يعفر ( ابن وردان ) ثم ( سابور ) وهما من العجم ، يحكمون صنعأ ومناطقها باسم الخلفأ العباسيين في بغداد وكان ( البويهيون / العجم ) يحكمون العراق وغيرها باسم الخلفأ العباسيين ( الذين كانوا مجرد واجهة شكليه لحكم البويهيين ) وكانت دمشق واغلب الشام تحت حكم ( بني طغج الاخشيديين العجم ) ومصر تحت حكم ( كافور الاخشدي ) .. وكانت صرخة ابى الطيب المتنبي تدوي في الافاق {{ لا تفلح عرب ملومها عجم }} .. ولم تكن في العراق والشام ومصر دولة عربيه سوى دولة حلب بزعامة { سيف الدوله الحمداني } الذي مدحه المتنبى بغرر القصائد ، ثم فارقه الى ( الرمله ) ثم مصر التى كانت تحت حكم العبد ( كافور الاخشيدي ) وحين جاهر المتنبي بالعداء لكافور الاخشيدي ( عام 351 هـ ) وقال قصيدته المشهوره {{ عيد باية حال عُدت يا عيدُ }} .. كانت الحركه العروبيه تزداد قوة حيث :-
(1)- في اليمن :- شهدت الفتره من عام 345 هـ الى عام 352 هـ سلسلة من الوقائع بقيادة الاسمر بن ابى الفتوخ الخولاني الذي خطب لعبد الله بن قحطان وانضوت تحت رايته المناطق الممتده من سروحمير ( قرب البحر العربي ) الى تخوم صنعأ ثم انهزم حاكم صنعأ ( سابور ) في معركة حاسمه ودخل عبد الله بن قحطان صنعأ في ربيع اول عام 352 هجريه حيث بدأ عهده الذي مالبث ان شمل اغلب اليمن قبل عام 358 هـ وبعد ذلك ولكنه لم يعلن الخطبه للخليفه الفاطمي ( المعز ) إلا بعد عام 359 هـ او 362 هـ ..**

**الدولة الزيادية**

الزياديون أو بنو زياد سلالة حكمت [اليمن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86) في الفترة 203 – 409 هـ/ 819 – 1019 م عندما أرسل الخليفة [المأمون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%86) واليه [محمد بن عبد الله بن زياد](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF&action=edit&redlink=1) حاكما باسمه إلى اليمن. بنو زياد آل زياد ملوك الدوله الزياديه

مؤسس الدولة الزيادية في اليمن

محمد بن زياد بن عبد الله بن [زياد بن أبيه](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%A3%D8%A8%D9%8A%D9%87) الأموي مؤسس الدولة [الزيادية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF) [باليمن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86)، وهو أحد ثلاثة ثوار [أمويون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%8A%D9%88%D9%86) قدموا إلى الخليفة العباسي المأمون ليحكم عليهم. فحكم على اثنين منهما بالقتل وعفا عن الثالث، وهو محمد بن زياد[[1]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%8A#cite_note-.D8.B9.D8.A7.D8.AF.D9.84-1). وقد أشار [الفضل بن سهل](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D9%84_%D8%A8%D9%86_%D8%B3%D9%87%D9%84) وزير المأمون على الخليفة بإرساله أميرا للجيش العباسي اليمن، فأرسله الخليفة [المأمون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%86) عام(203هـ/819م). فدخل اليمن بعد موسم الحج فبنى مدينة [زبيد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF_%28%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9%29) في شعبان 204هـ/ 819م وجعلها عاصمة له. وفي عام 205هـ / 821م أرسل ابن زياد مولاه جعفر إلى المأمون محملا بالهدايا الثمينة كغنائم من اليمن، فرجع جعفر إلى اليمن بعد أن أمد المأمون لألفي فارس كدعم له[[1]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%8A#cite_note-.D8.B9.D8.A7.D8.AF.D9.84-1). وتمكن من إقامة دولة سنية باليمن [عباسية الولاء](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%86)، وامتد نفوذه إمارته من ([حلي بن يعقوب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%84%D9%8A_%D8%A8%D9%86_%D9%8A%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8)) في الساحل شمالاً إلى [عدن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D9%86) [وحضرموت](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B6%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%AA) وما حولها جنوباً وكذا مخلافي الجند وجعفر ([إب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%A8)) في الداخل. تمكن ابن زياد طيلة حكمه الذي استمر أربعة عقود من تكوين إمارة قوية مزدهرة تدين بالولاء [لبغداد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF) إلى أن توفى عام 245هـ/859م. فخلفه ابنه إبراهيم. استمرت الدولة الزيادية تحكم حتى اسقطها [سعيد الأحول بن نجاح](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D9%88%D9%84_%D8%A8%D9%86_%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD&action=edit&redlink=1) أحد موالي الزياديون ومؤسس الدولة النجاحية عام 403 هـ.

أقام الزياديون دولتهم في [زبيد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF_%28%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9%29) بعد تمرد قبائل [الأشاعرة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1%D8%A9_%28%D9%82%D8%A8%D9%8A%D9%84%D8%A9%29) [وعك](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%83) في [تهامة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%A9) [[1]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86#cite_note-abc10-1) تولى [آل نجاح](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D9%88%D9%86) التابعين للزياديين ومؤيدين من قبل مركز الخلافة في [بغداد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF) و قامت حروب بينها وبين [الدولة الصليحية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9) انتهت بانتصار الأخيرة وقامت عدة دويلات مثل دولة [بني يعفر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%8A%D8%B9%D9%81%D8%B1) الحميريين ودولة الأئمة الزيدية الأولى في [صعدة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D8%B9%D8%AF%D8%A9) وبنو زريع وبنو حاتم وسلالة حميرية أخرى هي بنو مهدي وكلها كانت قوى قبلية متباينة المذاهب والأفكار فلم يدم الملك طويلا لأحد وشهد اليمن اضطرابات مذهبية خلال العصر العباسي الثاني [[2]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86#cite_note-abc11-2) وكان العهد العباسي عهدا مضطربا وظهرت دولة الأئمة الزيدية الأولى [فيصعدة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D8%B9%D8%AF%D8%A9) ودولة [بنو طاهر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1) واستطاع الأيوبيون السيطرة على غرب اليمن إلا أن تم إجلائهم من قبل [الرسوليين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9) الذين كانوا الوحيديين من بين الدويلات الإسلامية من تمكن توحيد كافة أقاليم اليمن وجعلوا من [تعز](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B9%D8%B2) عاصمة لهم وامتدت حدود دولتهم من [ظفار](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B8%D9%81%D8%A7%D8%B1) إلى [مكة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%83%D8%A9)[[3]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86#cite_note-3)

وبعد أن عانى اليمنيون من ظلم وتهميش من قبل دولة الخلافة أقدم اليمنيون على تأسيس دول يمنية مستقلة عن دولة الخلافة كان أولها دولة "بني زياد" عام [204 هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/204_%D9%87%D9%80) [819م](https://ar.wikipedia.org/wiki/819) امتدت سلطتها من مدن حلي بن يعقوب شمالا حتى [عدن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D9%86), [وحضرموت](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B6%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%AA), [والشحر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%AD%D8%B1) [والمهرة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%B1%D8%A9) جنوبا, وكانت مدينة [زبيد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF) عاصمة لها وخرجت [صعدة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D8%B9%D8%AF%D8%A9) عن سيطرة بني زياد عند قدوم [يحيى بن الحسين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D9%89_%D8%A8%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86) إليها لتأسيس [الدولة الزيدية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%A9) هناك عام [284 هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/284_%D9%87%D9%80) [897م](https://ar.wikipedia.org/wiki/897), وخرجت [حجة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%AC%D8%A9) عن سيطرة الدولة الزياديه, والتي تنازع عليها [اليعفريون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%8A%D8%B9%D9%81%D8%B1) ودعاة الإسماعيلية، وظهرت دولة [بني نجاح](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%8A_%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD) على أنقاض دولة بني زياد، كما ظهرت [الدولة الصليحية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%AD) في [جبلة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A8%D9%84%D8%A9), والتي واجهت منافسة قوية من دولة [بني نجاح](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%8A_%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD) والتي أسسها أعقاب سقوط دولة أسيادة بني زياد في [زبيد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF), وكان نجاح عبدا حبشيا في الدولة الزياديه، وأسست [الدولة النجاحية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD) على أساس المذهب [السني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D9%8A) وكانت موالية للخليفة العباس بينما كانت [الدولة الصليحية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9) في [جبلة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A8%D9%84%D8%A9) [بإب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%A8) على المذهب [الإسماعيلي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D9%84%D9%8A) وموالية للخليفة الفاطمي [[4]](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%88%D9%86#cite_note-4)

وقد حدد قرار تعيينه المنطقة التي سيديرها (منطقة تهامة وما أمكنه من الجبال ) وقد شملت منطقة نفوذها كامل تهامة اليمن من حلي بن يعقوب شمالاً ومروراً بمنطقة الحديدة وزبيد وتعز وإب ولحج وعدن وأبين وحضرموت وحتى منطقة الشحر في أقصى الجنوب الشرقي لليمن ، بنى مدينة [زبيد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF_%28%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9%29) وجعلها [عاصمة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A7%D8%B5%D9%85%D8%A9) له, وتمكن من تكوين إمارة قوية مزدهرة تدين بالولاء لبغداد وحين توفى عام 245هـ/859م خلفه ابنه إبراهيم الذي كان حكمه امتداداً لحكم أبيه حزماً واستقراراً وحَدَّ كثيراً من علاقته ببغداد حتى توفي عام 289هـ/901م فخلفه بدوره ابنه زياد بن إبراهيم الذي لم يلبث أن توفى بعد أقل من عامين فكان حكم أخيه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم فطال حكمه حوالي ثمانين عاماً (291هـ 371مـ /903-981م).

كانت زبيد في بداية حكم أبي الجيش قد تعرضت لسلب ونهب حين هجم عليها على بن الفضل [القرمطي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%B7%D8%A9) (ت302هـ 914م) من عاصمة حكمه ([مذيخرة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B0%D9%8A%D8%AE%D8%B1%D8%A9)) التي كان اتخذها قاعدة انطلاق لحكمه. ثم دبَّ الضعف والتفكك في الإمارة بشيخوخة (أبي الجيش) فاستقل [سليمان بن طرف الحكمي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85%D9%8A) [بالمخلاف السليماني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A) الذي نسب إليه ومد سيطرته حتى ساحل اليمن الشمالي متخذا من (عثر)غرب صبيا على ساحل البحر الأحمر عاصمة له وكذلك فعل آخرون من النواب في [المعافر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%81%D8%B1) [وعدن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%AF%D9%86) [وأبين](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%8A%D9%86_%28%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9%29) [ولحج](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%AD%D8%AC) [وحضرموت](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B6%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%AA_%28%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9%29). وبموت أبي الجيش خلفه ابنه الطفل عبد الله وصار الحكم في الواقع أيام أبي الجيش في يد طائفة من المماليك المستوزرين لهم والذين أصبح لهم النفوذ في الدولة كما بات لهم أنفسهم عبيد مماليك فحكم رشيد باسم الطفل عبد الله بن أبي الجيش وخلفه بموته عام 373هـ 981م مملوكه النوبي الأصل الحسين بن سلامة (373-403أو 402 هـ) الذي عرف بالحزم وعلو الهمة فنهض بدور هام حاول فيه إعادة تماسك الدولة المنهارة التي أصبح سيدها غير منازع لربع قرن وبموته خلفه عبد حبشي له هو مرجان وكان أيضاً استاذاً لطفل هو آخر سلالة ابن زياد.
وحاولت الدولة السيطرة على الجبال الغربية والجنوبية الغربية ،ولكنها لم تتمكن في اغلب الأحوال لقوة نفوذ دولة آل يعفر الحواليين .

وفي آخر الأمر تمكن [نجاح](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD_%D9%85%D9%88%D9%84%D9%89_%D9%85%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86) وهو مملوك حبشي لمرجان من تأسيس دولة([بني نجاح](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD)) في زبيد سنة 412هـ/1021م وبهذا انقرضت دولة بني زياد. وقد دامت دولة بني زياد بزبيد ما يقرب من 197 عاما، وقد امتد حكمهم إلى بعض أنحاء اليمن، حتى بدأ الضعف فيهم وأفول نجمهم وظهور أسر جديدة مثل [بنو يعفر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%8A%D8%B9%D9%81%D8%B1) في صنعاء وجند.

بدأت الدولة الزيادية بالضعف تدريجياً حيث غزاها الداعي علي بن الفضل وسيطر على زبيد عاصمة الدولة وحطم قوتها . إلا أن الحياة عادت إليها من جديد بعد موت بن الفضل عام (303هـ) واستمرت ما بين ضعف وقوة وخاصة بعد وفاة الأمير أبو الجيوش (إسحاق إبراهيم)371 هـ إذ سيطر عليها آل نجاح موالي آل زياد حتى أصبحوا هم الملوك الحقيقيين وانفصلت عنها كثير من المناطق الجبلية والسهل الساحلي الجنوبي (تعز، إب، عدن، لحج، حضرموت ) وتكونت فيها إمارات يمنية.

لم ينجح ابن زياد في توحيد اليمن كله في ادارة واحدة وخاصة على المرتفعات. وانقسم الوضع في اليمن إلى قسمين "تهامة اليمن" و "المرتفعات" وسنجد إن هذا التقسيم سيبقى اساسا ثابتا لكل تقسيم قادم ، وحينما كان "اليمن الأسفل" يشهد حالة من الخصوصية والاستقلالية كانت المرتفعات مسرحا للاحداث الخطيرة وصراع القوى المحلية والعشائرية وكان من ابرز هم ( [آل يعفر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A2%D9%84_%D9%8A%D8%B9%D9%81%D8%B1) ) [فيشبامو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D9%85) ([آل الدعام](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A2%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D8%A7%D9%85&action=edit&redlink=1) ) في [أرحب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%AD%D8%A8) وكما عجز ابن زياد عن بسط نفوذهم على "اليمن الأعلى" عجز [آل يعفر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A2%D9%84_%D9%8A%D8%B9%D9%81%D8%B1) عن السيطرة على المرتفعات

انتهت دولة بني زياد في زبيد عام 402 هـ بعد موت الحسين بن سلامة الذي تولى أمر بني زياد وهو احد مواليهم حيث لم يبق لهم من يصلح ليكون حاكماً سوى طفل صغير اسمه أبو الحبش وكان الحسين بن سلامة حازماً فاضلاً حسن الإدارة، أخضع له أكثر اليمن وأجزاء الحجاز وعندما مات تمزقت دولته وتغلب بنو نجاح على تهامة وبنو يعفر على صنعاء وعندما مات الحسن بن سلامة قام بأمر الدولة نجاح مولى بني زياد وأعلن نفسه سلطاناً على تهامة وراسل الخليفة العباسي القادر بالله معلناً له الطاعة واستمر حتى عام 452 هـ. وقد استمرت دولة بني نجاح فقام بأعبائها ابنه سعيد بن نجاح المعروف بالأحول وقد استمر حتى عام 481 هـ حيث هرب إلى جزر دهلك أمام جيش الصليحيين. ثم عاد جياش بن نجاح من الهند عام 483 هـ واستطاع دخول زبيد متستراً وعمل على تقوية جماعته حتى استطاع الانتصار على مكرم الصليحي واستمر في حكمه حتى عام 498 هـ حيث خلفه ابنه فاتك بن جياش حتى عام 503 هـ فتولى من بعده ولده منصور بن فاتك حتى عام 512 هـ. وخلفه ابنه فاتك بن منصور واستمر في حكمه حتى عام 540 هـ وقد ظهر على عهده المهديون فهاجموا بإمرة علي بن مهدي بلاد بني نجاح عام 538 هـ غير أنهم انهزموا وانسحب علي بن مهدي إلى الجبال. ثم خلف فاتك على تهامة فاتك بن محمد بن فاتك وبقي حتى عام 555 هـ وهو آخر ملوك بني نجاح وفي عهده أغار علي بن مهدي على زبيد فاستنجد أهلها ببني الرس وكان إمامهم المتوكل أحمد بن سليمان فأنجدهم ودفع عنهم غارات علي بن مهدي الذي استطاع أخيراً دخولها عام 553 هـ.
وفي عام 569 هـ استطاع شمس الدولة الأيوبية توران شاه أن يمسك بزمام الأمور بعد أن قضى عليهم من قبل أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي ولحقت زبيد بالأيوبيين

حكام الدولة الزيادية

* [محمد بن عبد الله بن زياد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%8A) 205-242 هـ/ 821-857م.
* إبراهيم بن محمد بن زياد: من سنة 242 -289 هـ/ 857-902 م.
* زياد بن إبراهيم: من سنة 289-291 هـ / 902- 903 م.
* إسحق بن إبراهيم (أبو الجيش): من سنة 291- 373مـ / 903-981 م.
* عبد الله بن أبي الجيش: وحكم باسمه مولاه رشيد
* الحسين بن سلامة -وهو مولى من موالي اسحاق بن إبراهيم- 391-402هـ / 1001-1012م.

أبو عبد الله؛ ينسب إلى أمه (سلامة)، لم نقف على مكان وتاريخ ولادته، وتوفي في قرية (أبيات حسين) القريبة من مدينة زبيد.
أمير، فاضل، شهير، كان مولًى -عَبْدًا- لرجل يسمى (رشيدًا)، وكان رشيد هذا وصيًّا، ووزيرًا للأمير (عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن زياد)، آخر أمراء الدولة (الزيادية)، وأخته (هند)، وسرعان ما مات (رشيد)، فأعلن صاحب الترجمة نفسه وزيرًا لـ(ابن زياد)؛ خلفًا لمولاه، وكانت دولة (بني زياد) قد ضعفت، وتغلب ولاة الأطراف والحصون على ما بأيديهم، فقاومهم، وهاجم مدنهم، حتى أخضعهم واستقر له الأمر.
قال عنه المؤرخ (علي بن الحسن الخزرجي) في كتابه (طراز أعلام الزمن): "كان أميرًا كبيرًا، أسودَ، نوبيًّا، نشأ على أحسن سيرة، حازمًا، عازمًا، عفيفًا، شريف النفس، عالي الهمة، حارب أهل الجبال -يقصد جبال (السراة)، الهضبة الوسطى من اليمن- حتى دانوا له، وخضع له (سليمان بن طرف) صاحب (المخلاف السليماني)، و(ابن الحراض) صاحب (حلي بن يعقوب)".
أسس مدينة (الكدراء) في وادي (سهام)، ومدينة (القحمة) على وادي (ذؤال) و(المعقر) في تهامة، وكان حسن السيرة، محسنًا إلى الرعية، كثير البر والصدقة، معتمدًا، ومقتفيًا سيرة الخليفة (عمر بن عبد العزيز)، وهو الذي بنى الجوامع، والمنارات الطوال في المدن، وعمر من حضرموت حتى مكة المكرمة نحو ستين مرحلة، بين كل مرحلة ومرحلة جامع، ومئذنة ومنبر، وجدد عمارة جامع مدينة عدن، وجامع مدينة (الجند)، ضاحية مدينة تعز، وجامع (الجؤة)، تحت قلعة (الدملؤة) في بلاد (خدير) من محافظة تعز، وجامع (ذي أشرق) في وادي (نخلان) في سفح جبل (النجد الأحمر) من محافظة إبّ، ومهد عقبة (الطائف) إلى (عرفات)، وله مسجد أعلى (جبل الرحمة) في (عرفات)، هدم فيما بعد.
وسوَّر مدينة زبيد، وحفر الكثير من الآبار جوار الجوامع التي بناها في مدن عدة كـ(شبام)، و(تريم) من بلاد حضرموت. وكان عابدًا، حسن السريرة، قال المؤرخ (عمارة بن علي الحكمي) في كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد): "كان الناس مزدحمين في الصباح على القائد (الحسين بن سلامة)، حتى تقدم إليه إنسان، فقال: إن رسول الله ( بعثني إليك لتدفع إليَّ ألف دينار، فقال له (الحسين): لعل الشيطان تمثل لك؟ فقال: لا، والأمارة بيني وبينك، أنك منذ عشرين سنةً لا تنام كل ليلة حتى تصلي عليه مائتي مرة، فبكى (الحسين)، وقال: أمارة والله صحيحة، فلم يعلم بها إلا الله سبحانه وتعالى، ثم دفع إليه ألف دينار".
وأخبار صاحب الترجمة في الأعمال الجليلة كثيرة ومشهورة، وقد دام ملكه ثلاثين سنةً.

الوزراء

* رشيد البوساني: 981 - 983 م.
* حسين بن سلامة: 983 - 1011 م.
* مرجان: 1011 - 1021 م.
* نفيس: 1016 - 1021 م.

المصادر

1. الإسماعيليون، الدعوة والدولة في اليمن. د.عادل سالم العبد الجادر. ط الأولى 2000 الكويت [ISBN 99906-59-](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%A7%D8%B5%3A%D9%85%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8/9990659346)
2. د. عصام الدين عبد الرءوف ألفقي (اليمن في ضلال الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول , القاهرة دار الفكر العربي , ط1 11982 ص 187.
3. تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام. المستشرق الإنجليزي استانلي لين بول. الدار العربية للموسوعات 2006-1427هـ.

دولة بني يعفر: 225 ـ 393هـ/840 ـ 1002م

تنسب دولة بني يعفر إلى إبراهيم ابن يعفر الحوالي نسبة إلى ذي الحوال الحميري أحد أقيال اليمن، بدأت هذه الدولة سنة 225 هـ/839م من مدينة شبام، وامتد نفوذها إلى الشمال بعد أن انضم إليها عدد كبير من القبائل، وفي أعقاب دخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة 284هـ/897م جرت معارك عنيفة بين أتباعه وآل يعفر وحلفائهم (آل الضحاك وآل طريف). ومن أشهر تلك المعارك معركة أثافت 285هـ/898م والمعارك التي دارت حول سور صنعاء سنة 288هـ/901م، وانتهت بدخول آل يعفر إلى صنعاء التي أصبحت عاصمة لهم، واستمرت المواجهات بين آل يعفر والزيدية سنين طويلة بلغت ذروتها في معركة بيت بوس (ضاحية جنوب صنعاء) 290هـ/902م التي أسر فيها محمد المرتضى بن الإمام الهادي، وبقي في أسره نحو عام. وفي عهد أسعد بن أبي يعفر 282ـ331هـ دارت معارك طاحنة بينه وبين علي بن الفضل القرمطي بنواحي صنعاء وشبام استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري، قتل فيها عدد كبير من أنصار القرمطي من بينهم ولده عبد الله الذي أرسل رأسه مع رؤوس أنصاره إلى الخليفة العباسي في بغداد، وقد بلغ عدد سلاطين هذه الدولة ستة، كان آخرهم أسعد بن عبد الله الذي انتهت الدولة اليعفرية في أيامه بدخوله في طاعة الإمام الزيدي القاسم بن علي العياني سنة 393هـ/1002م.

دولة بني نجاح: 403 ـ 555 هـ/1012 ـ 1160م

بنو نجاح أسرة حبشية ينسبون إلى الأمير نجاح أحد موالي بني زياد، أعلن نفسه سلطاناً على تهامة بعد زوال نفوذ الأسرة الزيادية، واتصل بالخليفة العباسي معلناً دخوله في طاعته، فأجازه الخليفة، ولقبه بالمؤيد نصير الدين. لم يكن بنو نجاح أقل عراقة من العرب، وصفهم نجم الدين عمارة اليمني فقال: «لم يكن ملوك العرب يفوقونهم في الحسب، فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة والمفاخر المأثورة وفيهم فضلاء وعلماء». كانت عاصمتهم زبيد، من أشهر سلاطينهم سعيد بن نجاح الملقب بالأحول. جرت بينه وبين الصليحيين معارك عديدة أهمها معركة المهجم التي قتل فيها علي بن محمد الصليحي سنة 458هـ/1065م، وأُسرت زوجته السيدة أسماء بنت شهاب. ومعركة الشعر سنة 481هـ/1088م التي انتهت بمقتل سعيد بن نجاح، وأسرت زوجته أم المعارك في خبر طريف. بلغ عدد ملوك هذه الدولة سبعة، آخرهم فاتك بن محمد، تقلد الحكم سنة 540هـ/1145م، وكان ضعيف السلطان فتعرضت مناطق نفوذه لهجمات متكررة من قبل بني المهدي الحميري الذين طالت هجماتهم مدينة زبيد مما دفع الأهالي إلى مكاتبة الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، فتصدى لآل المهدي، لكنه مالبث أن استولى على زبيد بعد مقتل السلطان فاتك، وبمقتله قضي على تلك الدولة.

الحروب التي حدثت في زمن دولة بني نجاح

بنو نجاح سلالة حكمت مدينة [زبيد](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF_%28%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86%D8%A9%29) [باليمن](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%86) منذ عام (403 – 553 هـ/ 1012-1158 م), أسسها الأمير [نجاح مولى مرجان](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD_%D9%85%D9%88%D9%84%D9%89_%D9%85%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86) الحبشي حاجب أمير [بني زياد](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AF) بعد أن قضى على مولاه (مرجان) وعلى منافسه (نفيس) الذين قتلا الأمير (عبد الله بن أبي الجيش آل زياد) وكافلته الذين لم يكن لهما في أمر الإمارة حول ولا قوة. فأعلن نفسه سلطانا على [تهامة](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%87%D9%84_%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%A9)، ولقد ضبط الأمير (نجاح) تهامة ضبطا تاماً، أما الجبال التي كانت خاضعة لأسلافه فإنها أفلتت من يده وإن كان قاهراً لها.

شرع نجاح في مراسلة الخليفة العباسي [القادر بالله](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3_%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87) ببغداد معلنا ولاءه وطاعته [للدولة العباسية](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9_%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9)، فأجازه بذلك ونعته بالمؤيد نصير الدين. كما اتسمت إمارته بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين والتي كسبت بها رضى اليمنيين في منطقة نفوذها، بل وساعدتها في مقاومة [الصليحيين](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%AD) في الحروب الطويلة والتقليدية التي قامت بين الدولتين طيلة عهديهما تقريباً. وبعد مقتله بالسم عام (452 هـ) عن طريق جارية جميلة أهداها إليه [علي بن محمد الصليحي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%A8%D9%86_%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%AD%D9%8A) استولى بنو صليح على المدينة وضموها إليهم حتى استردها سعيد بن نجاح عام (473 هـ - 1080 م). لما كان أولاد الأمير نجاح عند موته دون البلوغ فإنه قام بالأمر عنهم مولى أبيهم (مرجان الكهلاني)، وكان الأمير نجاح قد توفي عن خمسة أولاد، هم: (سعيد الأحول) و(أبو المعارك) و(جياش) و(الذخيرة) و(منصور). وقد تناوبت تلك الأسرتين على حكم زبيد.

الحبشي؛ قتل في بلاد (الشعر)، من بلاد إب، ثاني أمراء دولة (بني نجاح) في مدينة زبيد.
قُتِل أبوه مسمومًا، بدسيسة جارية أهداها إليه الملك (علي بن محمد الصليحي)، الذي استباح مملكته، ففر صاحب الترجمة، وأخوه (جياش)؛ خوفًا منه، وظلا يعملان بصمت لأخذ الثأر لأبيهما.
وقيل بأن (صاحب الترجمة) دخل مدينة زبيد، على حين غفلة، وظل يتابع أخبار الملك (الصليحي)، إلى أن علم بسفره إلى الحج - وقيل: إلى مصر- وكانت معه زوجته (أسماء بنت شهاب)، في موكب ضخم، تحوطه الخيول المسرجة بالذهب، والهدايا، والتحف.
فكتب (صاحب الترجمة) إلى أخيه (جياش)، فحضر (جياش) بمن معه، ومضوا إلى جهة (المهجم)، وكان الملك الصليحي قد أناخ هناك، فدخلوا في غمار الناس، وقتلوا الملك الصليحي، وأخاه (عبد الله) وجميع (آل الصليحي)، واستولوا على جميع ما حواه الموكب، من أموال، وهدايا، وأسرت (أسماء بنت شهاب)، وجعل رأس زوجها الملك وأخيه أمام هودجها، وذهبوا إلى مدينة زبيد، فدخلوها دخولاً معظمًّا.
وعاد ملك (بني نجاح) إلى تهامة بأسرها، واستمر صاحب الترجمة ملكًا، وكان قد وضع (أسماء) هذه في غرفة، ووضع رأس زوجها قبالة شُبَّاكها، وظلت سنة على هذه الحالة، حتى استطاعت إعلام ولدها الملك (أحمد بن علي) في صنعاء بحالها ومكانها؛ فجيش ابنها جيشًا عظيمًا، وذهب به إلى مدينة زبيد، وكان قد وصل خبر ذلك إلى (صاحب الترجمة)؛ فأعدَّ عدته.
وحين التقى الجيشان دارت الدائرة على جيش (صاحب الترجمة)؛ فهرب إلى الساحل، وكان قد جهز سفنًا لذلك، أوصلته إلى جزر (دهلك)، وعين الملك (أحمد بن علي) خاله (أسعد بن شهاب)، واليًا على مدينة زبيد، ولم تطل هذه الولاية، فقد عاد صاحب الترجمة بجيش من العبيد، وتمكن من إخراج واليها.
وفى معركة حاسمة أخرى قُتل صاحب الترجمة، تحت حصن (قيضان) في بلاد (الشعر)، من محافظة إب، بتدبير من الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي)، وبصعوبة تم التعرف على جثته، بعد أن عُرضت على زوجته؛ فعرفته، وتكرر معها ما حدث لـ(أسماء بنت شهاب)، حيث رفع رأسه على حربة أمام هودجها، حتى أحضرت إلى الملكة (أروى بنت أحمد الصليحي)، في مدينة (جبلة) من بلاد إبّ، فأسكنتها في غرفة، ونصبت رأس زوجها أمام شباكها، وكانت تقول: "ليت لك عينًا يا مولاتنا (أسماء)، حتى تنظري رأس (سعيد الأحول)، تحت طاقة (أم المعارك)"، تعني زوجته.

حكمت تلك الأسرة حتى عام (554 هـ - 1159 م) عندما استولى عليها [بنو مهدي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%88_%D9%85%D9%87%D8%AF%D9%8A)

الصراع النجاحي الصليحي

 نتجية للصراعات التي كانت بين نجاح والصليحي قتل نجاح الذي تلقب بالمؤيد نصير الدين قتله الصليحي بالسم عن طريق احدى الجاوري ودخل زبيدا فهرب أولاد نجاح (سعيد الأحول وجياش) إلى جزيرة دهلك في البحر الأحمر ، يتحينون الفرصة للثأر من آل الصليحي واسترداد ملكهم ، فجرت بينهم العديد من المعارك التي كان اهمها

* معركة (ساحل المهجم) انتهت بمقتل الصليحي ، واسترداد سعيد بن نجاح زبيد ، إلا أن الصراع لم يتوقف ،
* فقتلهم رميا بالحراب ، وتملك زبيد ، وعلق الرأس ، فقال العثماني شاعر : نكـرت مظلتـه عليـه فلـم تـرح
إلا علـى المـلك الأجـل سعيـدهـا

ما كـان أقبـح وجهـه فـي خالها
ما كـان أحسن رأسه فـي عودهـا

سـود الأراقـم قاتلت أسـد الشرى
يـا رحمتـا لأسـودها مـن سودها

ثم بعد سنة ، حشد مكرم بن الصليحي وأقبل من صنعاء ، فالتقوا ، فانكسر السودان ، وانهزم الأحول ، ونزلوا السفن ، واسترد مكرم زبيد ، وخلص أمه ، ثم فلج ، ففوض الأمور إلى زوجته الحرة سيده ، وأقبل على اللهو مع فالجه إلى أن هلك سنة ( 484 ) ، وعهد بالملك إلى ابن عمه السلطان سبأ بن أحمد ، وكان الحرب بينه وبين آل نجاح سجالا ، وكتب خليفة مصر إلى الحرة : قد زوجتك بأمير الأمراء سبأ على مائة ألف دينار ، ثم لما مات سبأ قامت بملكها ، ودبر دولتها المفضل ، وامتدت أيام الحرة خمسين سنة .

نعم ، ثم توثب سعيد الأحول على صنعاء ، ثم هلك سنة ست وثمانين ، وتملك بعده أخوه جياش ، وقد تنكر وسار مع وزيره قسيم الملك إلى الهند .
* ففي سنة 481هـ كانت معركة (الشعر) بين المكرم الصليحي وسعيد الاحول والتي انتهت بقتل الأمير سعيد بن نجاح وفرار أخيه جياش إلى الهند ، الذي لم يلبث أن عاد بعد عامين واسترد زبيداً وملكها .
وأصبح جياش هو صاحب اليمن الملك أبو فاتك جياش بن نجاح الحبشي ،
ووهو من أُمراء بني نجاح وكان يلقب بالعادل بن الطَّامي، وهو مؤلف كتاب (المفيد عن أخبار زبيد). وقد حكم الأمير جياش من سنة (483 ـ498 هـ) (1090 ـ1104م). وآخر أمراء بني نجاح الأمير فاتك بن محمد بن فاتك (540 ـ553 هـ) (1145 ـ1160م
* تخطيط جياش لاسترجاع حكم ال نجاح
قال جياش : دخلنا الهند سنة ( 481 ) ، فأقمنا ستة أشهر ورجعنا ، فقدم إنسان من سرنديب يتكلم على المستقبلات ، فسألنا عن حالنا ، وبشرنا بأمور لم تخرم ، واشتريت جارية هندية ، وجئـنا عدن ، فقلت لوزيري : امض إلى زبيد ، فأشع موتي ، واكشف الأمور ، وصعدت جبلة وكشفت أحوال المكرم ، ثم أتيت زبيد ، فخبرني الوزير بما يسر عن أوليائنا ، وأنهم كثير ، فأخذت من لحيتي ، وسترت عيني بخرقة ، وطولت أظفاري ، وقصدت دار ابن القم الوزير فأسمعه يقول : لو وجدت كلبا من آل نجاح لملكته ، وذلك لشر وقع بينه وبين ابن شهاب رفيقه ، فخرج ولد ابن القم ، فقال : يا هندي ، تحسن الشطرنج ؟ قلت : نعم ، قال : فغلبته ، فثار ، وكان طبقة أهل زبيد ، فقال له أبوه : ما لنا من يغلبك إلا جياش ، وقد مات ، ثم لعبت مع الأب ، فمنعت الدست ، فأحبني وخلطني بنفسه ، وهو يقول كل وقت : عجل الله علينا بكم يا آل نجاح ، فأخذت أكاتب الحبوش حتى حصل حول زبيد خمسة آلاف حربة ، وأمرت وزيري ، فأخذ لي عشرة آلاف دينار مودعة ، فأنفقتها فيهم ، وضرب ولد ابن القم عبدا له ، فنالني طرف سوطه ، فقلت : أنا أبو الطامي ، فقال أبوه : ما اسمك ؟ قلت : بحر ، قال : كنية مناسبة .

وقال مرة لابنه : إن غلبت الهندي ، أوفدتك بارتفاع السنة على المكرم . قال : فتراخيت له ، فغلبني ، فطاش فرحا ، ومد يده إلى وجهي ، فأحفظني ، وقمت ، فعثرت ، فاعتزيت وقلت : أنا جياش بن نجاح ، ففهمها الأب ، فوثب خلفي حافيا ، وضمني ، وأخرج المصحف ، وحلف لي ، وحلفت له ، وأمر بإخلاء دار أعز بن الصليحي ، وحمل إليها الأمتعة ، ونُقِلَتْ إليها سريتي ، فولدت لوقتها ولدي الفاتك ، وضربت الطبل ، وظهرنا ، فأسرنا ابن شهاب ، فقال : مثلي لا يطلب العفو ، والحرب سجال ، قلت : ومثلك لا يقتل . ثم أحسن إليه جياش ، وتسلم دار الملك ، ولم يمض شهر حتى ركب في عشرين ألف حربة ، ولم يقو به المكرم ، ولم يزل مالكا إلى أن مات سنة خمس مائة .

وقيل : مات سنة ثمان وتسعين عن ستة بنين ، فتملك ابنه الفاتك ، ثم حاربه إبراهيم أخوه ، ومات فاتك سنة ( 503 ) ، فملكـت عبيده ولده المنصور صغيرا ، فتوثب عبد الواحد بن جياش ، فتملك زبيد ، وهربت الخدم بالصبي ، وجرت حروب طويلة ، ثم تمكن الصبي مدة ، وولي بعده ابنه فاتك بن المنصور ، ثم تملك ابن عمه ، فدامت دولته إلى أن قتله عبيده في سنة ثلاث وخمسين وخمس مائـة ، واسمه فاتك بن محمد بن المنصور ، وكان هو وعبيده لا بأس بدولتهم ، وحكموا على شطر اليمن مع بقايا آل الصليحي ، ومع الشرفاء الزيدية .

وقيل ظل جياش يحكم زبيد حتى توفي سنة 498هـ ،

فتولى السلطة من بعده ابنه فاتك ، إلا أنه لم يدم طويلا ، فمات سنة 503هـ فقام بالأمر من بعده ولده منصور بن فاتك ثم فاتك بن منصور الذي تولى أمور الحكم وهو صغير ، فاستبد عبيد بني نجاح بأمور الدولة يديرونها كما يشاؤون ، ولم يكن لأمراء بني نجاح سوى الخطبة ، ونقش اسمائهم على النقود ، وفي عهد فاتك بن محمد بن فاتك آخر ملوك بني نجاح انتهت الدولة النجاحية ، إذ قتل سنة 555هـ وأسدل الستار بذلك على دولة بني نجاح

دينار بني نجاح

 قام بنو نجاح بضرب دينارهم الذهبي في مدينة زبيد ، ونقشوا عليه العبارات السنية التي تدل على مذهب الدولة ،كما نقشوا أسمائهم على تلك الدنانير إضافة إلى نقش اسم الخليفة العباسي ، طيلة حكم بني نجاح في إشارة إلى ولائهم للخليفة العباسي في مدينة السلام .
امتاز الدينار النجاحي كغيره من الدنانير اليمنية المعاصرة بخفة الوزن وتميز عنها بنقاء المعدن والعناية بنقش العبارات التي ترد على الدينار الذي امتاز أيضاً بجودة سبكه .
كما امتازت النقود النجاحية ، وخاصة الدنانير المضروبة في عهد الملك النجاحي الفاتك بن محمد ، بظهور لقب فريد نقشه على دنانيره مقروناً باسمه وبترتيب معين على مركز وجه وظهر الدينار (كهف ، أمر به الملك ، الأجل الفاتك ، الموحدين) أما مركز الظهر فيحمل تكملة اللقب (مخيف الملحدين

1- مدينة زبيد
تقع مدينة زبيد في اليمن بين وادي زبيد ووادي رمع ، على منتصف الطريق بين البحر الأحمر والجبل ، يحدها جنوبا وادي زبيد وعلى مسافة نصف يوم من شرقيها الجبال الشامخة والحصون الباذخة ومن غربيها وعلى مسافة نصف يوم كذلك البحر الأحمر
والنخيل (1) وهي اكبر من صنعاء وبينهما وبين صنعاء أربعون فرسخا ولا يوجد في اليمن أغنى من أهلها ولا أكثر خيرا ولا أقوم دينا ، وهي واسعة البساتين وكثيرة الماء والفواكه فيها عيون جارية وغزيرة المياه تأتي من شرقيها من سرب تحت الأرض وحتى تقترب من المدينة ثم تظهر فتسقي جميع البساتين ، وهي مدورة الشكل عجيبة الموضع ، وهي أم القرى في اليمن (2) .
وهذه المدينة أختطها محمد بن عبدا لله بن زياد الأموي واليها زمن الخليفة المأمون العباسي سنة 204هـ (3).
وسميت زبيد بضم الزاي نسبة إلى اغلب من كان يسكنها في ذلك الوقت من زبيد سعد العشيرة من مذحج (4) . والنسبة لمن ينتسب إلى هذه المدينة سكنا زبيد بفتح الزاي وكسر الباء .

وكانت هذه المدينة عاصمة الدول الآتية (5)
أ\*- دولة بني زياد الأمويين من سنة 205 هـ إلى سنة 402 هـ ( 820 – 1011 م )
ب\*- دولة بني نجاح من سنة 403هـ إلى سنة 569 هـ ( 1158- 1173 م )
ت\*- دولة بني مهدي من سنة 553هـ إلى سنة 569هـ ( 1158-1173م )
ثم كانت هذه المدينة مركزا للإشعاع الفكري والديني وكانت متخصصة في المذهب الشافعي في
أيام عزها (6) ، ينسب إليها كثير من العلماء منهم أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي قاضيها الذي روى عنه الأمام أحمد بن حنبل وأسحق بن راهويه
وأثنى عليه الأمام أحمد (7)

المصادر
1 ، 2 ،3 ، 4 ، 5 ، 6 عن بغية المستفيد من تاريخ زبيد لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر لشيباني المعروف بابن الدبيع المتوفى سنة 943 هـ ص34
7 المصدر السابق مع الإكليل للهمداني ج1 ص 366

مع وصول ابن زياد أخذت الساحة اليمنية تشهد قيام دول مستقل بعضها عن بعض على النحو الآتي:

ـ الدولة الزيادية 203 ـ 402 هـ/ 818 ـ 1011م

تنسب هذه الدولة لمحمد بن عبد الله بن زياد الذي قدم إلى اليمن عاملاً للمأمون كما سبق، وأناط به تأديب العصاة من القبائل المتمردة، فأذعنت له معظم بلدان اليمن، واختط مدينة زبيد التي أصبحت عاصمة له ولأفراد أسرته من بعده. وقد بلغ عدد ملوك هذه الأسرة خمسة، آخرهم أبو الجيش ابن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن زياد. وفي عهد هذه الدولة قدم إلى اليمن الإمام الزيدي الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالبt واستقر في صعدة سنة 284هـ/897م، وبايعه اليمنيون في الشمال إماماً على اليمن. وقد استمرت الإمامة في أبنائه وأحفاده وذريتهم، وكان الأئمة الزيديون طوال مدة الإمامة في حالة حرب دائمة مع جميع الدويلات التي شهدتها الساحة اليمنية حتى زوال نظامها مطلع ستينيات القرن الماضي على نحو ما سيرد. وفي مدة الدولة الزيادية أيضاً تعرضت اليمن لما يعرف بفتنة علي بن الفضل القرمطي الذي قدم إلى اليمن مع منصور بن حسن الكوفي، وعمل الاثنان على نشر مذهب الباطنية، واستباحا العديد من مدن اليمن، غير أن هذه الفتنة انتهت بمقتل علي بن الفضل سنة 303هـ/915م والمنصور سنة 331هـ/942م. وقد امتد نفوذ هذه الدولة ليشمل تهامة وحضرموت حتى إن بعض المصادر أشارت إلى اتساع نطاقها إلى جبال عسير وبعض الحجاز. ومن مآثر بني زياد إنشاء مدينة المذيخرة في العدين ومدينة الكدرا في وادي سهام، ولهم في هذه المدن كثير من المآثر العمرانية كالمساجد التي لايزال بعض معالمها قائماً إلى اليوم. وبعد وفاة إسحاق بن إبراهيم تمزقت دولتهم، وقام على أنقاضها دولة بني نجاح على نحو ما سيرد.

ـ دولة بني يعفر: 225 ـ 393هـ/840 ـ 1002م

تنسب دولة بني يعفر إلى إبراهيم ابن يعفر الحوالي نسبة إلى ذي الحوال الحميري أحد أقيال اليمن، بدأت هذه الدولة سنة 225 هـ/839م من مدينة شبام، وامتد نفوذها إلى الشمال بعد أن انضم إليها عدد كبير من القبائل، وفي أعقاب دخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة 284هـ/897م جرت معارك عنيفة بين أتباعه وآل يعفر وحلفائهم (آل الضحاك وآل طريف). ومن أشهر تلك المعارك معركة أثافت 285هـ/898م والمعارك التي دارت حول سور صنعاء سنة 288هـ/901م، وانتهت بدخول آل يعفر إلى صنعاء التي أصبحت عاصمة لهم، واستمرت المواجهات بين آل يعفر والزيدية سنين طويلة بلغت ذروتها في معركة بيت بوس (ضاحية جنوب صنعاء) 290هـ/902م التي أسر فيها محمد المرتضى بن الإمام الهادي، وبقي في أسره نحو عام. وفي عهد أسعد بن أبي يعفر 282ـ331هـ دارت معارك طاحنة بينه وبين علي بن الفضل القرمطي بنواحي صنعاء وشبام استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري، قتل فيها عدد كبير من أنصار القرمطي من بينهم ولده عبد الله الذي أرسل رأسه مع رؤوس أنصاره إلى الخليفة العباسي في بغداد، وقد بلغ عدد سلاطين هذه الدولة ستة، كان آخرهم أسعد بن عبد الله الذي انتهت الدولة اليعفرية في أيامه بدخوله في طاعة الإمام الزيدي القاسم بن علي العياني سنة 393هـ/1002م.

ـ دولة بني نجاح: 403 ـ 555 هـ/1012 ـ 1160م

بنو نجاح أسرة حبشية ينسبون إلى الأمير نجاح أحد موالي بني زياد، أعلن نفسه سلطاناً على تهامة بعد زوال نفوذ الأسرة الزيادية، واتصل بالخليفة العباسي معلناً دخوله في طاعته، فأجازه الخليفة، ولقبه بالمؤيد نصير الدين. لم يكن بنو نجاح أقل عراقة من العرب، وصفهم نجم الدين عمارة اليمني فقال: «لم يكن ملوك العرب يفوقونهم في الحسب، فلهم الكرم الباهر والعز الظاهر والجمع بين الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة والمفاخر المأثورة وفيهم فضلاء وعلماء». كانت عاصمتهم زبيد، من أشهر سلاطينهم سعيد بن نجاح الملقب بالأحول. جرت بينه وبين الصليحيين معارك عديدة أهمها معركة المهجم التي قتل فيها علي بن محمد الصليحي سنة 458هـ/1065م، وأُسرت زوجته السيدة أسماء بنت شهاب. ومعركة الشعر سنة 481هـ/1088م التي انتهت بمقتل سعيد بن نجاح، وأسرت زوجته أم المعارك في خبر طريف. بلغ عدد ملوك هذه الدولة سبعة، آخرهم فاتك بن محمد، تقلد الحكم سنة 540هـ/1145م، وكان ضعيف السلطان فتعرضت مناطق نفوذه لهجمات متكررة من قبل بني المهدي الحميري الذين طالت هجماتهم مدينة زبيد مما دفع الأهالي إلى مكاتبة الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، فتصدى لآل المهدي، لكنه مالبث أن استولى على زبيد بعد مقدولة بني نجاح
بعد موت الحسن بن سلامه آخر ولاة بني زياد انتهت بموته دولة بني زياد بزبيد ، وقام بامر الدولة الأمير نجاح مولى بني زياد بعد أن قتل الأمير نفيس أحد منافسيه في الحكم واعلن نفسه سلطانا على تهامه ، كما شرع في مراسلة الخليفة العباسي القادري المتقي ببغداد معلنا ، ولاءه وطاعته للدولة العباسية ، فاجازه بذلك ونعته بالمؤيد نصير الدين .
حكام دولة بني نجاح :-
1 - الامير نجاح
2 – سعيد بن نجاح الاحول
3 – جياش بن نجاح
4 – فاتك بن جياش
5 – منصور بن فاتك
6 – فاتك بن منصور
7 – فاتك بن محمد بن فاتكتل السلطان فاتك، وبمقتله قضي على تلك الدولة.

ـ الدولة الأيوبية في اليمن: 569 ـ 626هـ/1173 ـ 1228م

يتضح مما سبق أن اليمن كانت عند منتصف القرن السابع الهجري/الثاني عشر الميلادي ميداناً للصراع بين عدة قوى، فأرسل إليها السلطان صلاح الدين الأيوبي[ر] ـ بعد أن استقام له الأمر في مصر ـ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل في مقدمته أخوه طوران شاه، فاحتل زبيد عنوة، واتجه إلى عدن، وقضى على كل من آل المهدي وبني زريع وبني حاتم. وفي عهد أخيه طغتكين اتسع نفوذ الأيوبين فاحتلوا صنعاء، وأصبحت معظم بلدان اليمن خاضعة لسيطرتهم باستثناء صعدة معقل الإمامة الزيدية في الشمال. وإلى عهد السلطان طغتكين يعزى إنشاء سور صنعاء العظيم والدار المعروفة إلى اليوم باسم دار البستان، وفي عهده أيضاً اختطت مدينة المنصورة بإقليم المعافر على مقربة من الجند، واستمر حكم اليمن في سلالة طغتكين بعد وفاته؛ إذ تولاها ولده المعز إسماعيل 594ـ599هـ/1197ـ2021م وأخوه الناصر 599ـ611هـ/1202ـ1214م، ثم المسعود يوسف بن الكامل 612 ـ 626هـ/1215ـ1228م. وفي أيامهم جرت حروب مستعرة مع أئمة الزيدية، عاد المسعود في إثرها إلى مصر بعد أن استخلف على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي استقل باليمن، وأسس دولته الجديدة على أنقاض دولة بني أيوب.

ـ الدولة الرسولية: 626 ـ 858 هـ/1228 ـ 1454م

تنسب هذه الدولة إلى محمد بن هارون صاحب المنزلة المميزة في البلاط العباسي إبان سيطرة صلاح الدين الأيوبي على مصر وبلاد الشام، كان الخليفة العباسي المستضيء بالله قد أرسله من بغداد إلى مصر عدة مرات بمهام خاصة، فعرف بلقب الرسول، ثم عمل وزيراً للأيوبيين بمصر، وكان أبناؤه وأحفاده محل ثقة الأيوبيين. وعلى إثر مغادرة الملك المسعود الأيوبي بلاد اليمن عائداً إلى القاهرة أوكل إلى نور الدين بن عمر مهمة الإشراف على إدارتها، فأعلن هذا استقلاله بها، واتخذ من مدينة تعز عاصمة له مستمداً شرعيته من الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي. وبعد وفاة نور الدين قام بالأمر من بعده ولده يوسف الذي مد نفوذه إلى مكة، وجرت بينه وبين أئمة الزيدية حروب طال أمدها، استمر عليها أبناؤه وأحفاده من بعده. وإلى بني رسول ينسب كثير من بناء المدارس والمساجد في كل من تعز وزبيد، وشهدت البلاد في عهدهم حركة علمية نشطة، ومن أبرز الأسماء التي لمعت في عهدهم علي بن الحسن الخزرجي صاحب المؤلفات التاريخية النفيسة ومجد الدين الفيروزأبادي صاحب قاموس «تاج العروس». بلغ عدد ملوك هذه الأسرة اثني عشر سلطاناً، آخرهم المسعود أبو القاسم بن الأشرف الذي تمرد عليه بعض أبناء عمه، فاضطربت أحوال اليمن، فانقض ولاتهم من بني طاهر، وأقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الرسولية عند منتصف القرن التاسع الهجري.

ـ الدولة الطاهرية 858 ـ 933هـ/1454 ـ 1526م

ينسب الطاهريون إلى طاهر بن تاج الدين بن معوضة الذي يرجع بعض المؤرخين اليمنيين نسبه إلى بني أمية، عمل أبناؤه وكلاء لبني رسول على أملاكهم، ثم أصبحوا ولاة لهم على بعض الأقاليم و النواحي حتى اشتد ساعدهم، وقويت شوكتهم، وحينما دب الضعف في أوصال الدولة الرسولية تمكن آل طاهر من إقامة دولتهم على أنقاض دولة أسيادهم، وكان عامر بن طاهر 858ـ870هـ/1454ـ1465م أول سلاطين هذه الأسرة. اتخذ الطاهريون مدينة المقرانة في إقليم رداع عاصمة لهم، وامتد نفوذهم إلى صنعاء وماجاورها، وأصبحت معظم أقاليم اليمن خاضعة لهم، وجرت بينهم وبين أئمة الزيدية عدة حروب ولاسيما في عهد الأئمة محمد بن الناصر 866ـ 908هـ/1461ـ1502م ومحمد علي الوشلي880ـ910هـ/1475ـ1504م ويحيى شرف الدين 912ـ965هـ/1506ـ1557م. وفي عهد هذه الأسرة وصلت طلائع القوات البرتغالية إلى عدن بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح بغية السيطرة على طرق التجارة عبر المحيط الهندي والخليج العربي، لكن الطاهريون تصدوا لهم بالوقت الذي وصلت معه حملة عسكرية مملوكية بعث بها السلطان قانصوه الغوري لمنع البرتغاليين من الوصول إلى البحر الأحمر وتهديد الأماكن المقدسة في الحجاز، فاستولت على بعض مدن الساحل اليمني ليصبح اليمن مسرحاً كبيراً للعديد من القوى الدولية والمحلية مطلع العصر الحديث.

1. قيام الدولة الصليحية الفاطمية في اليمن

كانت اليمن في القرنين الرابع والخامس الهجريين في حالة من التدهور والتفكك, ففي خلال تلك المدة استولى " الموالي" على الأقاليم اليمنية, واستبدوا بالحكم, وعاثوا فساداً وظلماً, بالرغم من أن " الحسين بن سلامة" تمكن في مدة ولايته من الحفاظ على دولة "بني زياد" فإن استبدا "الموالي الحبشيين " بالحكم مكنهم من تأسيس الدولة "الناحية" في "زبيد" سنة 412هـ. على أنقاض دولة "بني زياد" فكانت لهم "تهامة" و "وزبيد", وكان استيلاؤهم على تلك الأمكنة من الأسباب التي حفّزت العرب إلى الانتقاض وعدم الخضوع لدولة الأحباش, فكان من جراء ذلك أن تقطعت أوصال البلاد بعد موت "الحسين بن سلامة" وأصبحت كل منطقة تخضع لنفوذ أمير من الأمراء وعمت الفوضى المناطق وأعلن العصيان في القلاع والحصون, والاستقلال في المناطق والأقاليم, فكان" مخلاف جعفر" يضم: " جبلة" و" إب" و العدين" و " المذيخرة" و " ذي سفال". و " مخلاف المعافر" يضم: " تعز" و" جبا" وغيرهما, "ومخلاف الجند وحصن السمدان" لآل " الكر ندى", وكانت لهم "مكارم" و"مغافر" وسلطنة "ظاهرة", أما "عدن" و"أبين" و"لحج" و "حضرموت" و" الشحر" فقد استولى عليها " بنو معن" سنة412هـ. وتغلب "أسعد بن وائل" على "مخلاف" و "حاظه" ومن مدنه: " شاطح", وامتلك " بنو عبد الواحد" "مخلاف يربوع" وأهم مدنه " الغمد" وبرع" وحصن "مسار ", واستولى " بنو اصبح" على حصون "حب" و"الشحر" و"السحول" ثم استولى على حصن "وصاب" ومخاليفها كانوا قوم من قبيلة "بكيل" ثم من "همدان".
من هذا نرى أن اليمن لم تكن فيها وحدة سياسية تجمع شملها تحت لواء واحد, بل كانت إمارات صغيرة متفرقة يأكل القوي منها الضعيف, أو بلغة أصح قل: أن السلطة كانت موزعه بين الأمراء والزعماء والمتباغضين المتنافرين, وجميعهم لم يكن يربطهم ببغداد إلا رباط إقامة الخطبة للخلافة العباسية, وضرب السكة باسمهم وإعلان الولاء له ولو بالظاهر.
هذا ... ومن الجدير بالذكر أنه من سنة405هـ إلى سنة448هـ عم الخراب "صنعاء" وغيرها من مدن وبلدان اليمن بسبب الخلافات والنزاع والظلم وفساد الأحوال, وتولى على العاصمة "صنعاء" الدمار وقل الخير, وضعفت المدينة حتى قيل أن دورها أصبح عددها ألفاً بعد أن كان مائة ألف.
في هذا الجو المكفهر الحالك المضطرب... وفي تلك الأحوال السياسية المتقلبة ظهر على مسرح اليمن " الداعي /علي بن محمد الصليحي قدس الله روحه في الجنة" رأس الأسرة الصليحية التي تنتسب إلى قبيلة "الأصلوح" من بلاد "حراز" وكان " الداعي /علي محمد الصليحي" قدس الله روحه في الجنة ، كما وصفه "ابن الجوزي" في كتابه " مرآة الزمان":
" شاباً أشقر اللحية. أزرق العينين... وليس في اليمن في ذلك الوقت من يماثله في ذلك".
نشأ" الداعي /علي الصليحي قدس الله روحه" نشأة طيبة...في بيئة عربية عريقة, لها تقاليدها في الأخلاق الفاضلة والعادات الطيبة السمحة... وقد ظهرت عليه مخائل النجابة, ودلائل الفضل والعزة وطموح النفس. ويروي أنه قام يحج بالناس على طريق "السراة" و"الطائف" خمسة عشر عاماً, وكان الناس في أول ظهوره يقولون له:
" قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ويكون لك شأن ودولة".
إن أولى فتوحات الدعي/ علي الصليحي قدس الله روحة كانت استيلاءه على بلدة "زبيد" وفي تلك الفترة تقدم لخطبة ابنة عمه السيدة الحرة " أسماء بنت شهاب" الصليحية, وتم زواجه به.

لما انتقلت رئاسة الدعوة الفاطمية في اليمن إلى " الداعي /سليمان ابن عبد الله الزواحي قدس الله روحه" شرع يلاطف ويجالس القاضي "محمد الصليحي" والد " الداعي علي الصليحي قدس الله روحه" فكان يكثر من الترداد عليه بالنظر لرئاستــــــــــه وسؤدده وصلاحه وعلمه, وكان كلما ذهب إليه يرى ولده "علياً" فيشــــــاهد على محياه دلائل النجابة والذكاء والشجاعة, فغرس فيه, وهو دون البلوغ التعاليم الفاطمية وما زال حتى استماله وجعل في قلبه العلوم والآداب والتفاني في المبادىء الفاطمية.
ولما اطمأن " ا لداعي سليمان الزواحي قدس الله روحه" لرســــــوخ تعاليمــــه في فكر تلميذه " الداعي /علي الصليحي قدس الله روحه" أوصى له بخـــلافته واستحصل لذلك على موافقة الإمام الفاطمي في مصر " المستنصر بالله عليه الســـــــــــــــــلام" وبهذا تمكن " داعي الإمام الزواحي" من إحراز أكبر نصر باهر بضمه إلى صفوف دعوته شاباً من خيرة شباب اليمن رجولة وغيرة وعلماً.
أجل...تمكن الداعي الفاطمي "سليمان الزواحي قدس الله روحه" بمــــا أوتي من قدرة ولباقة وسعة علم, وطلاوة في الحديث من استقطاب " الداعي /علي الصليحي قدس الله روحه" وإقناعه بضرورة الانتساب إلى الدعوة الفاطميــة ولم يلاق صعـــوبة في ذلك لأن علي ومنذ المرة الأولى أبدى رغبة صادقة وأظهر نية حسنة واستهــوته المبادىء التي اعتنقها أستاذه وبذل كل شيء في سبيل دراســــــــــــة هذه المبادىء والتفوق في فهـمها... أما سليمان فقد أوصى له بمبلغ كبير من المال إضافة إلى الوكالة العامة التي تعطيه صلاحية الاستمرار والبقاء في رئاسة الدعوة.
ويقول المؤرخ "عمارة اليمني":
فأصبح " الداعي علي الصليحي قدس الله روحه" عالماً فقيهاً في الفلسفة, مستبصراً في علم التأويل وقد أدت معارفه إلى أن ينهج نهجاً جديداً, وأن يســـــلك طريقاً يختلف عن طرق من سبقه من الدعاة الذين تولوا شؤون الدعوة في اليمن, وهــكذا اتخذ بادىء ذي بدء ميدان الحج حقلاً لغرس مبادئه وتنميتها, وصار يحج بالناس عن طريق " السراة والطائف"نحواً من خمسة عشر سنة...فسار ذكره في البلاد على لسان الخاصـــــــــة والعامة.
ومما يجب ذكره: أن هذه المدة الطويلة التي مـــــــرت بين موت "الزواحي" إلى حين قيام "الصليحي" ، بثورته في "مسار" تقرب من الخمســـــــة عشر عاماً, وعلى الأرجح أنها كانت كافية لصقل "علي" وإنماء معارفه وتجاربه, وتكوين جماعة تدين له بالطاعة والاحترام والإخلاص.
ولا يخفى على العقلاء أن يراعون دائماً جانب العامة، فهم الســــــــواد الأعظم في كل مجتمع، ولهذا كان من الواجب على كل من له زعامةً أن يحسب لهــم حساباً، ويتقرب إليهم بما يرضيهم، ولما كان الدين هو جامعتهم الكبرى ، ومن أكبر أسباب سعادتهم ، بما أن الداعي / على الصليحي قدس الله روحه ، يمثل الدولة الفاطمية الإسلامـــــــية وبالمثل العليا لها ، فلم يكن يصارح أحداً إلا من يثق بإخلاصه وبعد أن يختبره ، ولم يجعل مبادىء دعوة وفقاً على الأمراء وعلية القوم وأصحاب المصالح ، لأنه كان يعلم تمام العــــالم أن هؤلاء سيعــــلنون الحــــرب عليه ، وكان أن وجه اهتمامه إلى العامة والمتحمسين للدين وللسواد الأعظم من الرعية الذين بواسطتهم تجبى الأموال ، ومنهم يتألف الجيش فنفذ إلى صفوفهم وكسب ثقتهم وجذب قلوبهم ، وغرس في صــــدورهم الدين ... وحده... فليس يسيطر على العقول في تلك العصور سوى الدين... وإذ اجتمعت السياسة والدين تمت وسائط السلطة وخاصة في مجتمع عرف عن عامة أهله شدة تمسكهم بأهداب الدين ومحا فظتهم على التراث القديم.
أجل... عرفَ (( الداعي /على الصليحي )) هذا كله، وعرف أيضاً أنه لابد له من التطلع إلى آماله من زاوية خاصة، فدأب على تحقيق طموحه بصبر وتؤدة، وهو يعلم أن هذه الخطة كفيلة بنجاحه وتحقيق أغراضه، وجاء موسم الحج في سنـــــة 438هـ. وهذا العام كان بمثابة عهد جديد في إنجاح حركة الصليحي حيث بايعه ستون رجلاً من قبيلة " همدان " وعاهدوه على الطاعة والموت، وعلم كل واحد منهم أنــه جندي يبيع نفسه بيع السماح عندما تأزف الســـــــاعة الرهيبة، وتظافرت القوى على نصرة دعــــــــوة آل بيت النبوة بالأنفس والمال، ويعتبر كل هذا نصراً أكيداً للدعوة الفاطمية، وخاصة إذا عرفنا أن هؤلاء الذين بايعوه إنما كانوا في عزة ومنعة من قبائلهم، وكل هذا لا يتعارض مع ما ذكرناه من اعتماد " الداعي / علي الصليحي على الفئة العامة وبخاصة أن أكثرهــم كانوا من قبيلة "همدان" القويــــــة العزيزة والتي كان لها دوراً كبيراً مع أمير المؤمنين "على أبن أبي طالب " عليــــــه الســــــلام، وهذه القبيلة بلغة شأواً بعيداً في اليمن ، وهابتها جميع القبائل وحسبت لها حساباً ، وقد كان هذا الانضمام عاملاً كبيراً ومشجعاً لمن كان متردداً من المستجيبين ، وباعثاً للكثيرين من القبائل الأخرى على الانضواء تحت لواء الدعوة الفاطمية وهنا نستطيع أن نقول :
أن " الداعي/ على الصليحي قدس الله روحه" بعد أن وصـــل إلى هذه النتيجة، وبعد إحرازه هذا النصر الأكيد تمكن من تكوين جماعة مخلصة وإن تكن قليلة العدد، وقد أصبحت فيما بعد نواة لقوة كبيرة فكان أول عمل قام به هو استيلاؤه على حصن "مسار" وتعميره وجعله مركزاً لدعوته وقاعدة لحروبه، ولكن هذا المشروع كان يقتضي الحيطة والاستعداد، ولهذا أخذ يعد عدت الثورة، ويهيىء لها الســــــلاح والرجال والعدة وساعدته الظروف إلى حد كبير وهكذا تمكن من تكوين جيشـــــه من بطون "همدان" الذين اقتنعوا بصدق الوعد الذي بشروا به، واســــــــتقر في قلوبهم أن مواجهة الصعاب تقتضي الشجاعة والإقدام والإيمان بالله وبطاعة "الإمام المستنصر بالله عليه السلام" الذي ما فتأ يعدهم بالنصر الأكيد.

وبذل" الداعي /على الصليحي قدس الله روحه" وأصحابه جهداً كبيراً في سبيل جمع الكلمة وتوحيد الهدف , فتمكن بفضل ما أوتيه من القوة والذكاء من التغلب على كل ما اعترضه , وأخيراً جعل أتباعه يعتقدون أنهم إنما يحاربون إعلاء لكلمــــة الله , وليس لأمر من أمور الدنيا, وهكذا كتب له التوفيق, وكان في الوقت ذاته على اتصال بخليفة مصر الفاطمي " الإمام المستنصر بالله عليه السلام " يطلعه على كل شاردة وواردة , وأخذ رأي المخلصين من أعوانه, وعاهدهم على الوفاء بتطبيق سنن العدالة, وفي هذه الفترة البدائية من عمر دولته تمكن من عقد اتفاق مع "الهمدانيين" يقضي بأن يصلوا إليه في يوم معلوم.
وعندما شاع الخبر في أرجاء اليمن بأنه يستعد للثورة والقتال , وبأنه ينتظر وصول مساعدات وتوجيهات الإمام الفاطمي "المستنصر بالله عليه الســــــلام" ازدادت نقمة الاعداء عليه وعلى أتباعه, فوثب "ابن جهور" صاحب " لهاب في حراز" على أتباع علي المقيمين في ناحيته فأصلاهم ناراً حامية وأسر القاضي الفاطمي "لمك بن مالك" وعدداً كبيراً من قومه , فضاق الأمــر على " الداعي /على الصليحي قدس الله روحه" وكتب إلى " الأمام المستنصر بالله عليه السلام" يطلب إليه الموافقة على القتال , وكان يعتقد أنه لا يمكن أن يعارض الفكرة بحال من الأحوال لاسيما وان الدعوة لابد لها من تضحية وبذل دماء , وعندما وافته الموافقـة أرسل إلى أتباعـــــــه اينما كانوا في اليمن يحثهم على القدوم إليه , وأخذ من جهة ثانية يبتاع العدة والعدد , فخف لمقابلتـــــه كبار أهل الدعوة في نواحي "حراز" وكلهم يستعد لخوض المعركـــة, كما وافاه من اراضي
" يام " من همدان ونواحي صنعاء وبقاع حمير , وبعد أن تم حضورهم أطلعهم على خطته وأخبرهم بعزمه على احتلال حصن " مسار " وما يجاوزه... وتدفقت في هذه الأثناء الأموال والمساعدات والغرض منها تمويل الثورة وشراء الأسلحة.
ولما تمت الاستعدادات والتجهيزات أرسل أربعين رجلاً من " هوا زن " وأمرهــم أن يسيروا إلى "مسار " وان يلزموا ذروة الجبل , ثم يولوا وجوههم بعد ذلك شطر "صعفان " , بعد أن علم أن أهل " مسار" قد تأهبوا لقتالـــــه وحصنوه من كل جهــة , وقد علـم " الداعي/ علــى الصليحي

ذلك عن طريق بعض أعوانــه الذين تسللوا إلى قمة " مسار " ووقفوا على استعدادات الأعداء , وهنا رســم خطته فداهم الجبل المنيع واستولى على قمته وهي من أهم المواقع الحربية في اليمن.
وفي سنة439هـ تقدم في سيره فوصل إلى " عبرى سهام " وهناك طمع أهل " مسار" في محاربته في هذا المكان .... ولكنهم لم يتمكنوا ... فاتجهوا إلى قمة الجبل للاعتصام فيها , فوجدوا أهل " هوا زن " قد ملكوها , فاضطروا إلى الهرب , فصعد
" الداعي /على الصليحي

وأتم احتلاله للجبل, ونشر الأعلامالفاطمية في كل مـــكان دون أن يواجه أية مقاومة ولكن لم ينتصف ذلك اليوم حتى أحاط بـــــه عشرون ألف محارب جاءوا مــن مختلف الجهات وأنحاء البلاد لقتالــه, وطلبوا إليــه النزول , وهنا تجلت حكمته ومرونته وبعد نظره بالأمور والسياسة.... فقال لهم :
إنني لم أقدم على هذا الأمر إلا لكي أحرس لكــم الجبل خوفاً من أن تأتي قوة خارجيــة فتستولي عليه ,والآن فإن شئتم نزلنا وتركناه وإن شئتم كنا له الحراس الأمناء ... فقنع الرجال المحاربون وفوضوا إليه المحافظة عليه وانصرفوا عنه... وفي تلك الأثناء عادت رسله من مصر حاملين أوامر الخليفة " الإمام المستنصر بالله عليه السلام" بإعلان دولة الفاطمية في اليمن... فقرأ الكتاب على أتباعه, وأخذ نفوذه يزداد... وبدأت الأموال والمساعدات ترد إليه من جميع الجهات , وهذا ما جعله يقوم بعمارة " مسار " ويجعل له الدروب والبيوت

المنشور الذي أذاعه " الداعي /على الصليحي قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم

\" الحمد لله الذي أورى زناد الحق, ورفع عماد الصدق بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق, وأنارهم ما بين الغرب والشرق... والهداة إلى الخير والأدلة.. الدعاة إلى اشرف المناهج والملة.. خلفاء أنبيائه وأمنائه وأصفيائه, وسلالة رسله من لدن آدم ووصل نظامهم, وأعلى مقامهم, وفتق بالنور أيامهم, ونشر بالعدل اعلامهم, فهم أعلام الدين, والدعاة إلى الحق المبين.
وصلاته على من ختم به الرسالة, وفتح بالائمة من عقبه أبواب الدلالة, سيدنا
\" محمد النبي\", وعلى أخيه ووصيه \" علي \" , وعلى الائمة من نسل الحسين الزكي , ورثة التنزيل , وخزنة التأويل.
وأفضل صلاته, وأنمى تحياته وبركاته على وارث علمهم, والقائم من بعدهم بقية السلف وخيرة الخلف.. مولانا \" معد\" \" أبي تميم \" الإمام \"المستنصر بالله\" أمير المؤمنين.
أما بعد... يا أهل حراز ... ألهمكم الله رشدكم, وجعل الجنة قصدكم.... إني لم أطلع إلى \" حصن مسار \" متجبراً باغياً, ولا متكبراً على العباد عاتياً, ولا أطلب الدنيا وحكامها, ولا طالباً أملك نمو نماءها وطعامها ,لأن لي بحمد الله ورعاً يحجزني عما تطمح إليه النفوس , وديناً أعتمد عليه, وإنما قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به , والعدل الذي أنزله في محكم كتابه , أحكم فيه بحكم أوليائه , وسنن أنبيائه , وأدعو إلى حجته والقائم بفرضه .... لست من أهل البدع, ولا من ذوي الزور والشفع الذين يعملون في الدين بآرائهم ويحكمون بأهوائهم , بل أنا متمسك بحبل الله المتين , عامل بما شرع الله في الدين وداع إلى أمير المؤمنين... لا أقول إلا سدداً , ولا إكراه في الدين أحداً ... فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه , ومن ضل فإنما يضل عليها , وما الله يريد ظلماً للعباد.
واعلموا يا أهل \" حراز \" إني بكم رؤوف , على جماعتكم عطوف للذي يجب علي من رعايتكم وحياطتكم, ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم.... أعرف لذي الحق حقه , ولا أظلم سابقاً سبقه, وانصف المظلوم واقمع الظالم الغشوم وأبث فيكم العدل . وأشملكم بالفضل فاستديموا ذلك بالشكر , ولا تصغوا إلى قول أهل الكفر فيحملوكم على البغي والعدوان . والخلاف والعصيان والكفر بالأنعام والإحسان.
إن كتابي هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم... والسلام على من اتبع الهدى . وتجنب أمور الردى.
والحمد لله على ما أعاد وأبدى , وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى سيدنا محمد , وعلى آله الأئمة الشهداء... وسلم تسليماً... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مما لا ريب فيه أن ازدياد نفوذ" الداعي /على الصليحي

 وانتشار أمره بهذه السرعة استفز جماعة من زعماء اليمن , فأعلنوا خوفهم من تلك الانتصارات التي يحرزها "الصليحي قدس الله روحه" في كل يوم, فقام " جعفر بن القاسم بن علي العياني" صاحب " صعدة" في جمع كبير من أصحابه وهاجم حصن " الأخر وج " وقاتل أهله , وكان عليه " الحسين بن المهلهل" من أصحاب الداعي / على الصليحي قدس الله روحه" وجماعة من " حمدان " و " بني شهاب" , وانتهز هذه الفرصة أيضاً " جعفر بن العباس الشاوري " صاحب مغارب اليمن الأعلى , فقام على رأس جيش كثيف من " حراز وكرار" وغيرهما وقصد " عبرى " أسفل جبل "مسار" وأراد الصعود إليه , فنزل أنصار الصليحي يدافعون عن بقائهم وعن نصرة مبادئهم, لأن الانتصار معناه البقاء لدولتهم الفتية , وأما الهزيمة فمعناها الفناء التام والقضاء المبرم.
ولما تكاثر القوم على جيش " الصليحي" خشي الهزيمة . وما يترتب عليها من سوء العاقبة , فنزل بنفسه, ومن بقي معه من القوى الاحتياطية . واستمد من الحرج قوة, فشد بذلك من عزم أتباعه , وحمى وطيس القتال , وأخيراً ربح الجولة ’ أما جيش "ابن عباس" فقد لاذ بالفرار مغلوب على أمره , ولاكن ما لبث أن عاد ثانية بقوة أكثر عدداً, وكان يطمع في النصر هذه المرة أيضاً , ولكن تدابير " الداعي / على الصليحي قدس الله روحه" القتالية مكنته من السيطرة على الموقف وقتل " ابن عباس " وأكثر من معه من الأتباع... وغنم " الصليحي " وأصحابه الكثير من السلاح والعدة والأمتعة , فقوي بذلك مركزهم وازداد نفوذهم, وارتفعت روحهم المعنوية وخافهم من كان يترقب من القبائل نتيجة لهذه المعركة , وفي هذه الفترة اضطر الشريف " جعفر بن القاسم " عند سماعه بالأنباء أن يترك حصن " الأخر وج" وينجوا بنفسه , وكانت هذه التجربة اختباراً لقوة الصليحيين وتعاونهم وتمسكهم بمبادئهم, كما أن شخص الصليحي وجلال قدره وحسن بلائه في تأييد أمره أسكن النفوس الغضبى , فسار بالأمر قدماً واستولى على " حضور " وأخذ حصن " بتاح " وهنا خاف أهل " حراز " النزال فقرروا الدخول في طاعته إلا " ابن جهور " فقد صمم على الاستمرار في المكابرة واعتصم في حصن " لهاب" ولكن الصليحي كلف القائد الفاطمي " عامر بن سليمان الزواحي" فصعد إلى جبل " شبام وبيت عناد" ومعه جماعة من بني " قليد و هو ازن وبني الهجري" ثم وصل "أحمد بن المظفر الصليحي " وجماعة من الحجازيين \_ وفيهم عباس بن المكرم \_ فعمروا داراً في قمة جبل " شبام" كما عمروا جبل بيت "عناد" استعداداً لمقاومة " ابن جهور " وبعد أن تحصنوا في هذه الناحية , اتجه جيش " الداعي/ على الصليحي قدس الله روحه " لمحاربة " ابن جهور" في " لهاب" فضيقوا عليه الحصار , وفكوا أسر جماعة كبيرة من أصحابهم ومنهم القاضي " لمك بن مالك" ولكن " ابن جهور" استمر في عناده, وتمكن من أن يؤثر على أتباعه ويقنعهم في الاستمرار في المقاومة , ولما ضعف جيشه, ورأى أن مصيره إلى الهلاك,استعان " بنجاح" في "زبيد" وكانت علاقته مع" الداعي الصليحي قدس الله روحه" حسنة , فتوسط بالصلح , ولكن وساطته لم تثمر , وكان أن تمادى " ابن جهور" في بغيه , فاضطر" الداعي/ الصليحي قدس الله روحه" إلى محاصرة حصن " زبار " حتى سقط , وهنا رضخ " ابن جهور" وسلم نفسه إليه مكرهاً في " مسار" فأنزله" الداعي الصليحي" في ضيافته وأحسن إليه . ويدل تسامح" الداعي /على الصليحي قدس الله روحه" مع عدوه على نبله وعراقته وطيب محتده, فقد كان من المفروض والمنتظر أن يأمر بقتل " ابن جهور " الذي تسبب في إقلاق راحة الصليحيين مدة من الزمن حتى استمات في سبيل الوصول إلى النصر وتحريض الحانقين والناقمين عليهم.
بالرغم من هذا كله وجد" الداعي الصليحي قدس الله روحه" أن المعاملة الحسنة أجدى وأنفع في مثل هذه المواقف , وآثر أن يكسب ثقة الناس بالمزيد من أعمال الخير, وقد تحققت سياسته تلك فانقسمت منطقة " لهاب" فيما بينهم إلى فريقين : فريق انضم للصليحيين وقدم إليه المساعدات المالية , وفريق استمر في عداوته مما جعل"الداعي الصليحي" يرد كيدهم إلى نحورهم ويجتذب إليه الفريقين أخيراً, ولم يتوقف عند هذا الحد , بل نزل إلى "عبرى دعاس" وعقد مؤتمراً من جميع أهل " حراز" حذرهم فيه من الخلاف عليه والشقاق, وأعلن بدء قيام الدولة الفاطمية , كما وعدهم بحسن السياسة والقيام بالمحافظة على الشرع.

وبدأ"الداعي / على الصليحي قدس الله روحه " حكمه على الأسس التي أعلنها وتقدم في تنفيذ سياسته المرسومة بخطى حازمة سريعة وكان من ضمنها إتباع سياســـــة المهادنة إزاء أمراء اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة - إذا نفعت هذه السياسة - و إلا فليس أمامهم إلا الحرب وإخضاعهم بالقوة , ولما ملك" الداعي /على الصليـــحي جبال " حراز" وما يجاورها , خشي ملوك " تهامة" أيضاً بأسه الشديد , وتملكـــه الحصون والبلاد , وخاصـــة حصن "حضور" وما يجاورها , وهنا بدأت التقولات والإشاعات... وكان لا بد له من مهادنة "أبي حاشد" صاحب " صنعاء" كمــا هادن أباه "يحي بن إبراهيم الصحارى" من قبل , فلما توفي يحيى سنة440هـ أرسل "الداعي / على الصليحي قدس الله روحه" بعض أصحابه وبني عمـــــــــــه إلى "صنعاء" لتعزيته في أبيه والإحسان إليه , ولكن " أبا حاشد" اعتبر تطلعات الصليحي هذه تدخلاً في أموره فساءت العلاقة بينهما أخيراً مما أدى إلى قيام حرب
بين الفريقين... وقد انتهت تلك الحرب بمقتل صاحب "صنعاء" واستيلاء " الداعي/ على الصليحي قدس الله روحه "عليها وبوصوله إلى هذه المرحلة أقبل الناس علـى خطب وده والانضواء تحت رايته والدخول في طاعته.
ومهما يكن من أمر
فإن الإمام الزيدي " الناصر الديلمي" وكان قد وصل من "الديلم" إلى اليمن سنــــة
437هـ لإعلان المذهب الزيدي, فانضمت إليه قبائل كثيرة في "صعدة" ومنها سار إلى "صنعاء" وملكها, فطرده " يحيى بن أبي حاشد" والشريف " جعفر بن الإمام منصور العياني" فعاد إلى "ذي أبين".
أما "الناصر " فقد أعتبر استيلاء " الداعي على الصليحي "على " صنعاء" يشكل تهديداً له ولغيره من زعماء اليمن, فكان أن اتصل "بنجاح" صاحب "تهامة" وطلب منه إخراج الصليحي من "صنعاء" وهذه البادرة التي ظهرت من "الناصر" كانت مدعاة لغضب الداعي / على الصليحي, فسير إلية جيشاَ حاربه ثم قتله أخيراَ في موقع " نجد الجاح " ببلاد "رداح" .
وفي هذا العام ثار بعض الهمدانيون وهم أكبر القبائل التي دانت للصليحيين, وفكروا بخلع طاعتهم, والخروج على حكمهم, بالرغم من أن الصليحي لا يسير فيهم إلا سيرة الحق والعدل, فاتصلوا بالشريف" القاسم بن جعفر بن الإمام منصور العياني" واستنهضوه وأتباعه فاستجاب لطلبهم , وخرجوا جميعاَ سنة 448 هـ لغزو الصليحي , فتقابل الجمعان بالقرب من قرية " الهرابة" ببلاد " حاشد فردهم " الداعي / على الصليحي قدس الله روحه" , وحاصر الشريف ومن معه بأحد الحصون , ونصب علية المنجنيق لكن أتباع الشريف دافعو دفاع الأبطال ومات أكثرهم لنفاذ المؤونة وعند ذالك اضطر الشريف إلى أن يسلم نفسه للصليحي فأكرمه وخلع عليه,ولم تكن سياسة الصفح التي اتبعها الصليحي في هذه المرة سياسة هوادة أو تردد,بل قصد منها تسكين الثارات , لأن في تسكينها الأمن و الخير والسعادة والاستقرار لليمن واليمنيين .
وتمشياَ على هذه السياسة القائمة على المهادنة والملاطفة كان " الداعي / على الصليحي قدس الله روحه" يلاطف القائد"نجاح " صاحب الدولة الحبشية في " زبيد ـ تهامة " التي حملت لواء الدعوة الإسلامية السنية في اليمن بعد دولة" بني زياد " ولكنه كان يدرك أن دولته الفاطمية الفتية لا يمكن أن يكون لها شخصية معنوية قوية وكيان متين إلا إذا قضا على أكبر منافسيه وهو " نجاح" وكان الصليحي يلاطفه حتى قوي مركزه ودانت له معظم الجزيرة اليمنية , ثم بدأت العلاقات تتوتر بين الطرفين بفضل مساعي الإمام الزيدي "أبي الفتح " صاحب "زبيد" فحلت الوحشة بعد الأنس والجفاء بعد حسن الصلة, فأرسل "نجاح " جيشاً كثيفاً لمحاربة الصليحي والتقى الفريقان في خلف صعفان في "الجنة" المتصلة "بتهامة" ودارت بين الفريقين معارك طاحنة ومصادمات عديدة, وكانت الكرة الأخيرة للصليحي وجيشه من العرب على جمع الأحباش.
ويذكر التاريخ :
إن الأحباش عادوا فاجتمعوا سنة 450هـ في "ابن طرف " وكان معهم جميع أمراء الأحباش وكان جيشهم يتألف من عشرين ألفاً , فسار إليهم "الصليحي" في ألفين وسبعمائة فارس وهنالك التقى الجمعان "بالزرائب" فدارت الدائرة على الأحباش , ولم يسلم منهم إلا ألف لجأوا إلى جبل "يعرف" "بالعكوتين" فوق مدينة "الزرائب".
وفي سنة 452هـ مات "نجاح" " بالكد راء". ومن الأقاويل التي تروى أن الصليحي هو الذي دبر قتله, على يد جارية حسناء كان قد أهداها إليه فيما مضى لتحقيق هذا الغرض... على أن أكثر المؤرخين يؤكدون أن موت "نجاح" كان طبيعياً, ولكن هذا الموت لم يكن حداً فاصلاً بين الطرفين ,بل على العكس كان بداية لعهد نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين ,فقد تسلم الزعامة بعد "نجاح" ولده "سعيد" ولكن "الدعي / على الصليحي قدس الله روحه " أظهر براعته العسكرية بتأجيل أمر النجاحيين , وقرر أن يقضي أولاً على الفوضى الضاربة أطنابها في الدويلات في اليمن الأسفل , وبعدئذ يتجه إلى عدوه الرئيسي,وكل هذا حتى لا تشغله جبهة أخرى في داخل البلاد وفي هذا تتجلى حكمته ورأيه السديد, فزار "مسار" و"صنعاء.

1. فزار "مسار" و"صنعاء" زيارة قصيرة ثم قصد بجيوشه اليمن الأسفل, واستولى عنوة على جبل "صبر " وعلى بلاد "بني الكرندي" وملوك "المعافر " وحصن "الدماة" كما استولى على بلاد "الحسين التبعي" صاحب حصن "حب" و"بعدان" و"السحول" و"الشواني" , ودخل "الجند وهي يومئذ مدينة اليمن الأولى , ولم يكن في اليمن أشهر منها , ومن مدينة "صنعاء" منذ الجاهلية حتى عهد الداعي / على الصليحي قدس الله روحه ,ثم سار إلى "عون" واستولى على بلاد "بني معن" الذين كانوا يملكون "عون " ثم هادنهم أخيراً وسلم إليهم بلادهم بعد أن بذلوا له السلم وأعلنوا الخضوع له والائتمان بأمره.
ثم قصد بعد ذلك "تهامة" وسار إلى "زبيد" وافتتحها واحتل "التهائم" كلها وطرد منها أولاد "نجاح" الذين فروا إلى جزيرة "دهلك " في البحر الأحمر, واستقروا فيها ويذكر التاريخ:
إنه بعد هذه الفتوحات سار في الناس بالعفو والصفح ورفع السيف, وبسط العدل, ولاذت به العرب ولا سيما في بلاد "تهامة" حيث كان العبيد يتحكمون بهم ويستطيلون عليهم أيام القائد "نجاح".
وهكذا طوى " الداعي / علي الصليحي قدس الله روحه " بلاد اليمن طيا وأرضخها جميعاً لنفوذه وسلطانه, وافتتح كل ما كان مغلقاً في وجهه, فلم يأتي عام 454هـ. إلى وقد ملك الأقطار اليمنية كافة قلاعها وحصونها ومدنها وسهولها وجبالها وأمتد نفوذه من "مكة" حتى "حضرموت" وتمنعت عليها " صعدة" بعض التمنع, ولكنه مالبث أن قتل " القائم " وملكها وبذلك تمت أمور الدولة وأستقرة وتوحدة كلمة اليمن وجعل الداعي / على الصليحي قدس الله روحه "صنعاء" عاصمة لدولته وبني فيها عدة قصور , وأسكن معه جميع ملوك وأمراء اليمن تحت علم واحد, ورأت اليمن بعد قرون طويلة وحدة البلاد في ظل حكم عادل قوي يقوم على الحرية والحق والعدالة , وكل هذا كان من برنامج " الداعي/ علي الصليحي " الذي أخذ يوطد دعائم ملك الدولة على هذا الأساس , ويرسي قواعدها وينضم سياسة البلاد وأدارتها.

ويولي في المناطق والحصون من يرتضيه ويثق به من الولاة والحكام والقواد , فولى على " تهامة" "الأمير أسعد بن شهاب الصليحي" وهكذا دخل " زبيد " سنة 456هـ. وسكن " دار شحار" فأحسن السيرة في الرعية, وأذن لأهل السنة في إظهار مذهبهم, كما أمرهم بذلك الداعي /"علىالصليحي قدس الله "روحه , وعامل أيضاً أرباب الدولة النجاحية بالحسنى.
وعين الصليحي أيضاً ابنه " الأمير المكرم" على " الجند" وما يليها, كما عين أخاه "عبد الله" على بلدة "ذي جبلة" فأخذ يصلحها ويعمرها. ومما تجدر الإشارة إليه أن الداعي علىالصليحي قدس الله روحه لم يكن اهتمامه مقصوراً على اليمن فحسب, بل كان ينظر إلى ما وراء حدود بلاده وبالأخص " الحجاز" وهي أقرب البلدان إلى اليمن, وأهمها في نظر المسلمين, وأحوجها إلى الاستقرار والأمن, وكان يتفانى في سبيل الدعوة الفاطمية والخليفة المستنصر بالله, فكان يجيب أوامره طائعاً، ويؤديها متبركا برضاه، معتزا بثقته، فلما خرجت "مكة" عن طاعة المستنصر بالله عليه السلام وقعت الخطبة التي كانت باسمه سنة 453هـ أرسل الداعي" على الصليحي قدس الله روحه "إلى واليها "شكر الحسيني "يحذ ره مغبة خروجه عليه, و تبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوي على الكثير من التهديد والوعيد ولما عيل صبر الصليحي وضاق صدره طلب من الخليفة المستنصر بالله أن يأذن له بإزالة الشريف شكر من مكة ؟ فأجابه المستنصر بالله بكتاب ينهاه عن سفك الدماء بالحرم الشريف قائلاً:
"إياك أن تلقي الله بدماء بني فاطمة" فأطاع الداعي "علي الصليحي أمر الخليفة الفاطمي مكرهاً على ما كان يجري في البلاد المقدسة. ثم أنه توجه إلى "مكة" أخيراً سنة 454هـ وقضى فريضة الحج ومعه أمراء اليمن وزعماؤها, فانتزعها من "بني أبي الطيب" ولما توفي "شكر "خلفه "ابن جعفر " رئيس "الهواشم " وزوج ابنة "شكر" فشن حرباً على السليمانيين وأخرجهم من بلاد الحجاز, واستقل بإمارة "مكة" وأقام الخطبة للخليفة العباسي "القائم".
ولما انتهى الداعي "علي الصليحي من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وللحرم وللمناسك ما يفوق حد التصور, وعامل الناس بالحسنى, وأظهر العدل والإحسان, وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال, فطابت قلوبهم ورخصت الأسعار وأمنت الحجاج "أمناً لم يعرف مثله من قبل حتى أنهم كانوا يعتمرون ليلاً ونهاراً وأموالهم محفوظة ورحالهم محروسة" ولم تقف أعماله هناك عند هذا الحد, بل أنه شن حملة تأديب على القبائل الثائرة التي كانت تعتدي على الحجاج, ورد "بني شيبة" عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحجاج, ورد إلى البيت من الحلي والأثاث ما كان "بنو الطيب" الحسينيون قد أخذوه عندما تملكوا بعد "شكر" وكانوا قد عروا البيت والميزاب, ثم أخذ يصلح ما أفسده الأشراف في هذه البلاد, وتحمل ديات القتلى من ماله الخاص, فكسب بحسن سياسته وإدارته رضا الخليفة المستنصر بالله عليه السلام, وثقة كثير من البلدان الإسلامية المجاورة لما قدمه من خدمات للحجاج عامه, وما قام به من كسوة الكعبة بالديباج الأبيض وما جابه من الأقوات إلى أهالي تلك البلاد... وفلهجت الألسن بادعاء له في كل مكان والثناء على كرمه وأفعاله.
ومهما يكن من أمر فإن الداعي "علي الصليحي " أقام في الأراضي المقدسة حتى يوم عاشوراء سنة 455هـ, يخطب للخليفة المستنصر بالله عليه السلام, ويعيب على العباسيين إهمالهم شؤون الدين وفي أثناء إقامته في "مكة المكرمة" راسله الأشراف الحسينيين المغلوبون على أمرهم, طلبوا منه إن يختار من بينهم والياً عليهم لكي يبذلوا له الطاعة, فأقام على البلدة واليها السابق " محمد بن جعفر " وأعطاه مالاً وسلاحاً, وأصلح بين العساكر, فدل كل ذلك على حسن سياسته لأنه لم يتعنت مع الحسينيين ولم يظلمهم وآثر أن يحسن معاملتهم ليكسب ودهم وخاف أن يترك البلد قبل أن تستقر الأمور فيها, فتقع في أيديهم, ويستمرون في عنادهم وخلافاتهم, فأستعمل معهم اللين, وبذلك نجح في تحقيق سياسته مؤقتاً, وقفل بعد ذلك عائداً إلى " صنعاء". ومهما يكن من أمر فإن الشريف"محمد بن جعفر" أمير " مكة المكرمة" لم يعمل طوال عهده الذي بدأ من سنة453هـ إلى سنة487هـ على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة, وإقرار الأمن بها بالرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحياناً, ومن الخليفة الفاطمي أحياناً أخرى, بل أساء التصرف والسيرة فيها, وأصبح الحجاج في أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم, كذلك لم يبدوا من هذا الشريف ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية, بل دان لكل منهما بالطاعة في فترة متقاربة حتى وصل "أبو المحاسن " في كتابة " النجوم الزاهرة":
" بأنه كان متلوناً تارة مع الخلفاء العباسيين العراقيين, وتارة مع الفاطميين المصريين, ويظهر من هذا أنه كان يلعب بمصالح البلاد المقدسة, ومصالح المسلمين جرياً وراء المال. وهناك من يقول:
" إن هذا التلون يعود إلى دوافع سياسته وأخرى اقتصادية ".
هذا....ومن الجدير بالذكر أنه بعد عودة الصليحي إلى " صنعاء" شكر له الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عليه السلام حسن صنيعه وامتثاله لأوامره بعدم إراقة الدماء في الأراضي المقدسة.

ولكن الشريف "محمد بن جعفر" رجع إلى ما كان يفكر به, وخرج على من أحسن إليه, ولم يكتف بذلك بل عمل على إثارة الفتن وتهييج العامة, وفي أثناء غيابه عن اليمن أيضاً قامت الفتن والثورات في بعض أنحاء المملكة, فقام عليه قومه من" عنس وزبيد" وأظهروا الخلفاء العصيان, والتفوا حول رجال منهم, ثم التجأوا إلى جبل " مثوة" وما جاوره من الجبال, وعندما عظم فسادهم قصدهم الداعي "على الصليحي قدس الله روحه "وأقتحم معاقلهم عنوة حتى دانوا له بالطاعة.
وأخيراً:
عاد الداعي " علي الصليحي " بالتفكير في شؤونه الخاصة وأمور الدولة الصليحية... ومنها ولاية العهد... وكان ولده الأكبر " الأمير محمد " قد بلغ مبلغ الرجال, فرغب في أن يوليه ولاية العهد لينوب عنه في الملك في حياته ومماته, وكتب إلى الخليفة المستنصر بالله عليه السلام سنة456هـ يخبره بما أستقر عليه رأيه, فورد إليه سجل الخليفة بالموافقة وأعطاه لقب: " الأمير أعز شمس المعالي وأذن له أن يعلن هذا اللقب على منابر اليمن, وفي ذلك الوقت توفى "الأمير أسعد بن شهاب" حاكم "زبيد" وما يتبعه, فرأى الداعي" على الصليحي قدس الله روحه" أن يولي أبنه " الأمير محمد" ما كان عليه خاله, وأعطاه صلاحية التصرف في شؤونها لكي يختبره ويدربه على الحكم.
وصل " الأمير محمد" إلى " زبيد " سنة 457هـ بعد خمسة أشهر من حكمه سار والده ووالدته وولدهما الثاني " المكرم " سنة 458 هـ إلى " زبيد" وأقاموا في ضيافته مدة قصيرة, وبعدها عزموا إلى العودة إلى " صنعاء" فصاحبهم مودعاً وكان يريد أن يبلغ معهم " الغمد " ولكنه لما وصل إلى " المسقط" أصابته الحمى فأمر والده بالرجوع إلى "زبيد " فعاد إليها ولكن المرض اشتد عليه, وكان أن مات سنة458هـ وله من العمر سبعة وعشرين عاماً, ولما وصل الخبر إلى والده, وهو على وشك الطلوع إلى حصن "مسار" مع الملكة " أسماء " اشتد عليه الحزن, وقفل الداعي "علي الصليحي قدس الله روحه" عائداً إلى " زبيد" بجمع من أهله وأركان دولته فدفن ولده وجعل قبره بجانب ضريح خاله " الأمير أسعد بن شهاب ".
وبعد عودته إلى " صنعاء" كان عليه أن يلقي خبر وفاة ابنته "ميمونة " التي ماتت غماً على أخيها... وقبل أن تصل رسالة الداعي" علي الصليحي قدس الله روحه" إلى مصر لإعلام الخليفة بالنبأ أرسل سجل يعزيه بوفاة ولى عهده وبالوقت نفسه يعين " الأمير المكرم " ولى للعهد. في تلك الفترة أوفد الصليحي إلى القاهرة وفداً مكون من: القاضي عمران بن الفضل, ونجيب بن عفير, ويوسف بن محمد, وعنتر بن غشم يحملون للخليفة المستنصر بالله عليه السلام رغبة الداعي " الصليحي " بزيارة القاهرة والتشرف بالمثول بين أيدي الخليفة, ولكن المستنصر بالله عليه السلام رفض طلبه, وأشفق عليه من بعد المسافة.
ويذكر التاريخ:
إن سبب هذا الرفض وجود مصر في حالة " الشدة العظمى" التي استمرة من سنة 459هـ إلى سنة 466هـ وهي المدة التي تعرضت لسلب والنهب والفوضى والخراب... وفي تلك الفترة كلف الخليفة الفاطمي " بدر الجملي " الأرمي بالوزارة فتغلب على المصاعب وعاد الأمن والثقة والاستقرار.
وفي سنة 459هـ غادر الداعي " علي الصليحي قدس الله روحه " " صنعاء" قاصد الديار المقدسة لأداء فريضة الحج, وترك لولى عهده "الأمير المكرم" أمر إدارة المملكة بالنيابة عنه, وكان قد أرسل قبل سفره خمسين أميراً من أمراء اليمن و مائة وسبعين من آل الصليحي, وغيرهم ممن أرادوا أداء فريضة الحج من قبائل "يام" و" جنب" و" سخان" وأهل "حراز" وقد رمى من إرسالهم قبله عدم ازدحام الطريق بهذا العدد الكبير, ثم تبعهم هو في ألفي فارس, وخمسمائة فرس مطهمة بالسروج ومحلاة بالذهب والفضة وخمسون هجيناً, وغير ذلك من الهدايا والعطاء مما لا يمكن إدخاله تحت حضر.
وكانت نار الانتقام تستعر في قلوب بني نجاح وزعيمهم " سعد الأحوال" وهو من العبيد الأحباش المسموع الكلمة, فذكر له إحسانه إليه وتقديمه ورفع مكانته, فأنكر" فرح " أن يكون له أي ضلع بما يجري وأقسم الأيمان المغلظة عن استعداده بالذهاب وإحضار رأس " سعد الأحوال" ولكن الأمر جاء العكس, فإن " فرحاً" لما وصل إلى" زبيد" أخذ يحرض العبيد والأحباش على الثورة ويوغر صدرهم, فأمر الداعي "علي الصليحي " بإلقاء القبض عليه وقتله وهنا ثارت نفوس العبيد وشقوا عصا الطاعة وهاجموا ولاة الصليحيين وقتلوهما وهما: " أبا السعود" و" أحمد بن أسعد بن شهاب الصليحي " كما قاتلوا كل من كان معهما من أهل "حراز" ثم نهبوا كل ما كانوا يملكوه من أموال ومتاع, وفي الوقت نفسه استدعوا كل من كان على رأيهم من العبيد والأحباش " بتهامة" والحجاز وجندوا جنودهم ثم أنهم علموا أخيراً بمسيرة الداعي"على الصليحي "إلى الديار المقدسة وأنه لا يرافقه أحد من المحاربين وأهل البأس والمراس, لأن رجاله قد تقدموه إلى الديار المقدسة وأن جميع أمواله وأثقاله مبثوثة فيما بين "هجر" و"المهجم" وهذه البلاد قد تمهد مهدها واستقام عمادها وأمنت السبل وخضع فيها كل عزيز...ولم يكن مع الصليحيين في "المهجم" إلا أبنه "الموفق" وزوجته "أسماء بنت شهاب" وأخوه "عبد الله" و "إبراهيم" وجماعة من بني الصليحي, فلما علم أن الأحباش قد عبأوا قواتهم, وأنهم في طريقهم لقتاله أنفذ عبيدة الذين كانوا معه لمقاتلة العدوا المهاجم, وكان ظنه أنهم يقدرون فضله وإحسانه ويفدونه بالمج والأرواح, فذهبوا مسرعين متظاهرين بالحماسة وفي قلوبهم تكمن الخيانة والغدر, وحينما التقوا بأبناء جلدتهم انظموا إليهم وفي نيتهم الشر وقالوا المهاجمين:
" إن فآتكم غداً لحق بأصحابه وعسكره, وامتنع عليكم" فساروا مجدين وفاجأ وه بقرية يقال لها " أم الدهيم".... وهناك انقضوا عليهم, ولم ينفع دفاعه ودفاع إخوانه وأبناء عمومته... فوقعوا تحت حراب كثرة من العبيد... وهكذا قتل الصليحي وكل من كانوا معه, وكان قد اتجه إلى مكان السيدات لحمايتهن... ولكن العبيد ما لبثوا أن حاصروا المكان... واستمر حصارهم أربعة أيام.... وعندما استأمن " مهن" خرج إلى " الأحوال" وأخذ منه ميثاقاً بالمحافظة على الحرائر الصليحيات وأقسم أنه سيطلق سراحهن ليسرون إلى "صنعاء" فوثق بقوله, ولكن الأحوال نقل النساء إلى دار أخرى ثم غادر بكافة الرجال وقتلهم عن آخرهم ونهب كل من كان معه من أموال وحلي وهدايا كان الداعي" على الصليحي قدس الله روحه" قد أعدها لينفقها على الحجاج المسلمين ومرافقيه من الخدم والعبيد.
وهنا سألت الملكة " أسماء" "سعيداً الأحوال" أن يسمح لها ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء فامتنع وسار بهن إلى " زبيد" ومعه رأس الداعي " علي الصليحي " وأخيه " عبد الله " محمولين على رمحين أمام هودج الملكة " أسماء" وقد نصب الرمحان فيما بعد أمام الشباك التي تنظر منه الملكة "أسماء" في الدار التي حلت بها, إلا أن سعيداً بذل ما استطاع من جهد في سبيل المحافظة وصيانة كرامة السيدات الصليحيات.
إن عهد علي الصليحي يعتبر بالنسبة لتاريخ اليمن من العهود التي زخرت بالأحداث التي نتج عنها تأسيس دوله كبيرة أسسها " على الصليحي " فقد تمكن من جمع اليمن كلها تحت لواء واحد ويقول المؤرخ "عمارة اليماني":
" إن هذا أمر لم يعهد في جاهليته ولا في إسلامه "....
وذكر " العرشي" في كتابه "بلوغ المرء": " ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع " للداعي علي بن محمد الصليحي ".... فإنه استولى على اليمن سهله وجبله, شماله وجنوبه وشرقه في مدة يسيره بعد أن قهر أعداءه, فهو لذالك لا يقل في نظرنا عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم في صحائف التاريخ بما أحرزوه من انتصارات وما قاموا به من فتوحات وأعمال مجيدة وإن يك ذلك لمدة وجيزة".
من هنا نرى أن الصليحي حكم البلاد حكماً مطلقاً لكنه كان حكماً (( مستنيراً عدلاً قائم على أسس حكيمة يتجلى فيها السمو والرفعة, وبالرغم من أنه ينتسب إلى الفاطميين فإنه لم يكره أحداً على الدخول في عقيدته, ولكنه لم يكن يغفر لأحد تهاون في أمور الدين )).
ذكر المؤرخ " الفاسي" في كتابه " تحفة الكرام" ما يلي:
" فطابت قلوب الناس, ورخصت الأسعار, وأمنت الحجاج أمناً لم يعرف له مثيل من قبل, حتى أنهم كانوا يعتمرون ليلاً ونهاراً وأموالهم محفوظة ورحالهم محروسة".
وقال " ابن الجوزي في " مرآة الزمان ":
" فرد بني شيبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحجاج, ورد إلى بيت من الحلي ما كان " بنوا الطيب " الأشراف قد سلبوه, وكانوا قد ملكوا الديار المقدسة بعد " شكر الحسيني" وعروا البيت والميزاب ".
ومهما يكن من أمر فإن ما قام به الداعي " علي الصليحي " من إصلاحات في الأراضي المقدسة أكسبه ثقة الكثيرين في مختلف البلدان الإسلامية. من جهه أخرى فإن تسامحه مع علماء "السنة" والسماح لهم بممارسة طقوسهم وشعائرهم بحرية أعاد ثقة الناس إليه.
وكذلك فعل " أسعد بن شهاب " عندما كان والياً على "زبيد" سنة456هـ فأحسن سيرة الرعية وأذن للسنة بإعلان عقيدتهم بحرية.
ولا بد لنا ونحن نقترب من النهاية عن حياة هذا المؤسس الكبير من القول: أنه كان أديباً وشاعراً يعطف على الأدباء ويصل الشعراء لمعرفته بأن الشعر يجب أن يكون السلاح الماضي في خدمة الدولة وأنه من أهم وسائل الدعاية لها, فلم يشأ أن يترك هذا السلاح دون أن يشهره في وجه خصومه وفي الدفاع عن دولته والمباهاة بعدالتها والإشادة بذكرها... ومن أشهر الشعراء الذين عاشوا في عصره: " عمرو بن يحيى الهيثمي" و "الحسين بن القمي" و"الحسين بن أبي عقامة".
وتذكر كتب الأدب اليمنية بعض المقطوعات "لعلي الصليحي" قالها في مناسبات عديدة.... ومنها قصيدة يذكر فيها احتلال حصن " وراخ":

ما اعتذاري وقد ملكت وراخاً
عن قراع العدا وقود الرعال

ويقول:
وألذ من قرع المثاني عنــــده
في الحرب الجم يا غلام وأسرج
خيل بأقصى حضرموت مجالها
وصهيلها بين العراق ومنبج

وكان الداعي "علي الصليحي " بالإضافة إلى كل ما ذكرناه عالماً وفقيهاً مستبصراً في علم التأويل وعلوم الشريعة, كما كان خطيباً مفوهاً.

[الصراع السياسي بين اليمن ومصر الفاطمية](http://thehistoryofarabia.blogspot.com/2013/01/blog-post.html)

وصول سيدة بنت المكرم أحمد الى السلطة

الملكة أروى بنت أحمد الصليحي
ــــــــــــــــــــ

هي / أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي
ولدت في مدينة (حراز)، غربي مدينة صنعاء
وقيل: في عدن، وتوفيت في مدينة (جبلة)، ضاحية
مدينة إبّ.

السيدة، الحرة، الملكة، الصليحية، لقبت
بـ(بلقيس الصغرى).

نشأت في كنف الملكة (أسماء بنت شهاب):
زوجة الملك (علي بن محمد الصليحي)، كانت قارئة
كاتبة، تحفظ الأخبار، وتروي الأشعار، ملمة بالتاريخ،
وأيام العرب. واسعة العلم بالفقه (الإسماعيلي)،
والمذهب (الفاطمي)، تعلق على الكتب، وتضيف

وتحذف، وكانت متبحرة في علم التنزيل والتأويل
والأحاديث الثابتة عن الأئمة والرسول صلى الله عليه
وسلم، وكان دعاة (الفاطمية) يتعلمون منها من وراء
حجاب، ويأخذون عنها، ويرجعون إليها، كما ذكر
المؤرخ (عمارة بن علي الحكمي) في كتابه:
(المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)، واستحقت
بذكائها ونبوغها اهتمام الحاكم (الفاطمي) في مصر
المستنصر (معد بن أحمد)، الذي أرسل لها كبار
دعاته لتثقيفها بمذهبهم، ورفعها من درجة (الدعاة)
إلى مقامات (الحُجج).

وكانت عاقبة العناية بها من قِبَل الملك (علي بن محمد
الصليحي)، وزوجته (أسماء بنت شهاب) أن زوجاها
ولدهما المكرم (أحمد بن علي) ولها من العمر ثمانية
عشر عامًا.

وفى هذا الزواج قال الشاعر (الحسين بن علي بن
حمويه) المعروف بـ (ابن القم).

وكريمة الحسبين يكنف قصرها \*\*\*أسدٌ تخاف الأُسْدُ
من صولاتهـا
وتكاد من فرط الحياء تغض عن \*\*\*تمثالها المرئيَّ في مِرآتهـــا
ظفرت يداك بها فبخٍّ إنمــــا \*\*\*لك تذخر العلياء فيُ مكنوناتهـا

وكان صداقها في هذا الزواج إقليم عدن، الذي ظل خراجه يرفع إليها
سنويًّا، وقد أنجبت له (عليًّا)، و(محمدًا)، و(فاطمة)، و(أم همدان).
بدأت نشاطها السياسي في عهد زوجها المكرم. قال المؤرخ (عمارة)
في كتابه المذكور: "لما توفيت السيدة أسماء بنت شهاب؛ فوض الملك
المكرمُ الأمر لزوجته الحرة أروى بنت أحمد، فاستبدت بالأمر، واستعفته
في نفسها، وقالت: "إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر،
فدعني وما أنا بصدده". مما يعني تفرغها للحكم".

وكان لها عدد من المستشارين، منهم: القاضي
(عمران بن الفضل اليامي)، و(أبوالسعود بن أسعد بن شهاب).

ولما توفي زوجها الملك (احمد بن على الصليحى) سنة 484هـ/1092م؛
كتمت الأمر، وتحملت المسئولية، حتى استطاعت الحصول على تفويض من
الحاكم الفاطمي (المستنصر) في تسيير شئون الدولة، والدعوة في اليمن
والهند وعُمان، وأمر الخليفة (المستنصر) أن تكون المراسلات باسم ابنها
الأمير (علي بن أحمد)، الذي كان صغيرًا حينها، كما أرسل مندوبًا عنه لإبلاغ
الأمير الطفل (علي بن أحمد) تعازيه بموت أبيه، وليسكت الطامعين في كرسي
الحكم من (آل الصليحي).

وظفرت صاحبة الترجمة باسم ولدها على دعم الحاكم (الفاطمي)، وتأييده له
برسائله إلى كل الولاة والسلاطين بضرورة الامتثال للأمير (علي) وطاعته،
حتى هي نفسها أمرت بذلك، كمخطط سياسي، يلزم الجميع بتنفيذه؛ باعتباره
صادرًا من أعلى سلطات الحكم في الدعوة (الفاطمية) إلى أن حصلت لابنها
على اللقب، الذي به يحوز رئاسة الدعوة في اليمن، بأمر من الخليفة
(المستنصر)، الذي لقبه بـ(سليل الدعوة ونجلها).

وجمعت في يدها كل مفاصل الدولة، واستطاعت إلى حد ما إخماد القلاقل،
التي كانت تتحفز لإسقاط ابنها، وإزاحتها عن الوصاية، ولكي تضمن بقاء
الأمر في يد الأسرة الصليحية، جعلت الأمير الداعي (سبأ بن أحمد الصليحي)
ابن عم زوجها، نائبًا لولدها الأمير (علي) ورئيسًا للوزراء، وقائدًا للجيش،
فأمنت شره، ووجهته لقتال أعدائها وأعداء زوجها التقليديين، من (بني نجاح)
في مدينة زبيد الذين رجعوا إليها، واستولوا عليها مرة أخرى بقيادة (جياش
بن نجاح)، ونشبت بين الأمير (سبأ)، و(آل نجاح) معركة هزم فيها
(الصليحيون)، وقتل الأمير (عمران بن الفضل اليامي) سنة 479هـ/1086م
وكان (بنو نجاح) في مدينة زبيد يرون لأنفسهم شرعية الحكم، استمدادًا من
الخليفة العباسي في بغداد، وكانوا من أهل السنة، يرفضون خلافة (الفاطميين)
في مصر وولاتهم في اليمن.

وتوفي ابنها الأصغر (محمد بن أحمد) ثم تبعه الأمير (علي بن أحمد)، فعاد
السلطان (سبأ) للمطالبة بحقه في الحكم أو الزواج بها، فرفضت ذلك، واستدعت
الوزراء وأعيان الدولة، وعقدت اجتماعًا أوضحت فيه أهمية المرحلة التي تمر
بها الدعوة، أملاً في أن تحظى منهم بالموافقة على استمرارها في تسيير
شئون الحكم، وردت على السلطان (سبأ) بنفس ما ردت به على زوجها
المكرم: "إن المرأة التي تراد للفراش...إلخ".

وكبر الخلاف بينها وبين السلطان (سبأ)، ورُفع إلى الخليفة (المستنصر)، الذي
أرسل إليها أمرًا بقبول الزواج من السلطان (سبأ)، فوافقت مرغمة، وسار إليها
السلطان إلى مدينة (جبلة)، فأقام عندها شهرًا؛ فلم تمكنه من نفسها، حتى
استحقر نفسه، وندم على الزواج بها، ورجاها أن تسمح له بالدخول إلى
دارها، ولو ليوم واحد، ليوهم الناس بدخوله عليها، فوافقت، ويقال: إنهاأرسلت
إليه بجارية تشبهها، وعرف ذلك، فرحل صبيحة اليوم الثاني، وظلت العلاقة
بينهما على الورق فقط، لكنه لم يبخل عليها بأي مساعدة أو خدمة فيما
يخص الدولة وشئون الحكم.

وكان من وزرائها (المفضل بن أبي البركات)، الذي وهبته حصن (التعكر)،
المطل على مدينة (جبلة)؛ لتريه قدره عندها.

ومن دلائل ذكائها السياسي، وقوفها مع (منصور بن فاتك بن جياش): ابن
عدوها ضد عمه (عبدالواحد بن نجاح)، وأمرت قائد جيشها (المفضل بن أبي
البركات) أن يمكن (منصورًا) من ولايته على مدينة زبيد، وبعد معركة (
المفضل) في مدينة زبيد مع عم (منصور بن فاتك) وصلته الأخبار باستيلاء
الفقهاء على حصن (التعكر) بمؤازرة السنيين من قبيلة (خولان) فزحف عليهم،
وأسفرت المعركة عن مقتله، فاستوزرت بعده (أسعد بن أبي الفتوح) أحد
ولاتها على مدينة تعز و(صبر) فساعدها وسيّر معها بعض أمور الدولة،
حتى توفي سنة 514هـ/1120م.

وبموته اضطربت الأمور، وكانت الملكة (أروى) قد أدركتها الشيخوخة،
فطلبت من الحاكم الفاطمي الآمر (محمد بن أحمد بن معد) أن يمدها
بمستشارين لمساعدتها، فأرسل إليها (علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة)،
الذي استطاع أن يهدئ الأمور، ويوقف الاضطرابات الساعية إلى إسقاط
الدولة من (النجاحيين) في مدينة زبيد، فأعاد تنظيم الجيش، ورفده بقوة
من الجيش المصري، ومن بعض القبائل كـ(همدان)، و(سنحان)، وحاول
أن يغزو مدينة زبيد؛ ففشل وانهزم على يد (مَنِّ الله الفاتكي)، أحد قواد (
منصور بن فاتك) عام 518هـ/1124م. وبعد هزيمته ضعفت علاقته بالملكة،
وقوَّى ذلك الضعف تآلب أنصار الملكة ضده، وتأليب الملكة عليه، حتى رماها
بالخبل، وقال عنها: "إنها خرفت، واستحقت عندي أن نحجر عليها". واجتمع
سلاطين اليمن ضده، وحاصروه في مدينة (الجند)، ضاحية مدينة تعز، ومعه
أربعمائة فارس من (همدان)، ولما طال الحصار، لجأت الملكة إلى ذكائها
وحيلتها، فاستدعت وجوه القبائل، وفرقت بينهم عشرة آلاف دينار مصرية،
وأمرت الرسل أن يشيعوا في العسكر الذي مع (ابن نجيب الدولة) أن السلاطين
فرقوا في الناس دنانير ذهبية، فإن أنفق (ابن نجيب الدولة) شيئًا من الذهب وإلا
رحلنا، وتم لها ما أرادت، إذ لم يطلع الصباح إلا وقد تفرقت رجال (همدان)،
ورحل كل إلى بلاده، وانفضوا عن (ابن نجيب الدولة)، فتوجه إليها وقدم
اعتذاره على ما كان، فسلمته إلى جنود الحاكم (الفاطمي)، الذين أُرسلوا
لاستلامه مقبوضًا عليه.

ألقابها:
« الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، ذخيرة الدين ، عصمة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، كافلة أوليائه الميامين « . تلك الألقاب الفخمة والضخمة لا تمنح إلاّ للملوك العظام الذين بلغوا شأوًا كبيرًا في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، أرسلها الخليفة الفاطمي المستنصر المتوفى سنة ( 487 هـ / 1094م ) الذي حكم مصر الفاطمية ستين عامًا إلى الملكة الصليحية الحرة سيدة بنت أحمد المتوفاة ( 532 هـ / 1138م ) التي أمتد حكمها في اليمن خمسة وخمسين عامًا .

والحقيقة أنّ السيدة أروى بنت أحمد الصليحي ظهرت على المسرح السياسي اليمني في أوضاع سياسية غاية في التعقيد والصعوبات فقد تجرأ الطامحون والطامعون إلى السلطة للانقضاض على الدولة الصليحية بعد أنّ أصاب زوجها المكرم أحمد بن علي بن محمد الفالج ( الشلل الرعاش ) المتوفى سنة ( 477هـ / 10855م ) والذي حكم اليمن ثمانية عشر عامًا بعد أنّ قضى معظم حكمه في حروب ومنازعات ضد خصومه السياسيين الذين اغتالوا والده مؤسس أركان الدولة الصليحية سنة ( 459هـ / 1068م ) الذي أمتد حكمه في اليمن عشرين عامًا .

ومن مظاهر ذكائها، وحنكتها السياسية أيضًا قيامها بفصل أمور الدعوة (
الفاطمية) عن الدولة، وأنشأت لها إدارة متخصصة، مستقلة ماليًّا وإداريًّا عن
الدولة، وعن مركز القرار السياسي والعسكري، وذلك لتضمن بقاء واستمرار
الدعوة، حتى لو سقطت الدولة، وقامت مع داعي الدعاة (يحيى بن لُمُك) بتعيين
داعٍ جديد في اليمن بتزكية وترشيحٍ منها، وهو (الذؤيب بن موسى الوادعي)،
بحضور سلاطين وأمراء الدعوة وأعيانها. وقبل مقتله بأيام، أرسل الحاكم
الفاطمي: الآمر (محمد بن أحمد بن معد) إلى الملكة برسالة مرفقة بقطعة من
كمِّه عرفت فيها أنه ينعي نفسه، وأنه أوشك على الموت، وأبلغها في رسالته
أنه رزق طفلاً أسماه: (الطيب)، وكناه: (أبا القاسم)، ففهمت مراده، وقامت مع
الداعي (الذؤيب) بأخذ البيعة لـ(الطيب بن الآمر) الإمام الجديد للدعوة، ووجهت
مراكز الدعوة عند قراءة مجالس الحكمة- أذكار خاصة بالفاطميين- بالصلاة
عليه، وكانت مؤمنة فعلاً بوجوده، والدليل على ذلك وصيتها بأن تسلم كل
مجوهراتها وذهبها إلى الإمام (الطيب).

كانت بيضاء، مشربة بحمرة، مديدة القامة، معتدلة، مع ميل إلى السمنة،
جميلة الصورة، جهورية الصوت .

.

على المسرح السياسي

وعندما شعر الملك المكرم أحمد بأنّ المرض قد تمكن منه وأنه لن يستطيع أنّ يدير شؤون الحكم ، فوض الأمر لزوجته سيدة بنت أحمد في تسيير أمور الحكم . والحقيقة لقد أثبتت المحن ، والخطوب السياسية التي واجهتها الملكة الصليحية الحرة سيدة بنت أحمد ، كفاءتها و صلابة عودها و قدرتها الفائقة ، وحنكتها في التغلب على تلك الصعوبات الواحدة تلو الأخرى بفضل حكمتها العميقة ، ونظرتها الثاقبة للأحداث ، ورباطة جأشها ، وواقعيتها في معالجة الأمور ، واختيارها الجيد لرجالات دولتها. وتميزت سيدة بنت أحمد بأنها ، كانت لها شخصيتها المستقلة مهما كانت قوة الضغوط السياسية التي تحيط بها من كل مكان ، إذ تعرضت للضغوط السياسية القوية من قِبل مصر الفاطمية أو بعبارة أخرى من بعض الخلفاء الفاطميين الذين ظهروا على مسرح مصر الفاطمية بعد وفاة الخليفة المستنصر . فقد حاول البعض منهم أنّ يفرض عليها سياسته ولكنها لم تخضع له ، بل أنّ البعض منهم عندما وجد في سيدة بنت أحمد القوة ، والبأس ، والشموخ والاعتزاز بالنفس فضلاً عن أنّ اليمن كانت تمثل لهم قاعدة صلبة وعريضة تنطلق منها دعوتهم المذهبية إلى الهند وتحديدًا في الساحل الغربي منه ، وكذلك عُمان ، والبحرين ، والإحساء ولذلك نزل عند موقفها وحاول بشتى الوسائل التودد لها والتقرب إليها لكسبها إلى صفهم أو بعبارة أخرى كسب اليمن إلى صف مصر الفاطمية .

الملك المكرم أحمد
والحقيقة أنّ تولية سيدة بنت أحمد حكم إدارة شئون اليمن لم يأتِ من فراغ ، فقد كان الملك أحمد المكرم يدرك تمام الإدراك حكمة زوجته على أبحار سفينة البلاد إلى شاطئ الأمان بعد أنّ تمكن منه المرض ـــ كما قلنا سابقاً ـــ ولم يكن المكرم شخصية ضعيفة أو ألعوبة في يد زوجته لتفرض عليه أنّ يفوضها زمام الأمور في البلاد . فقد ذكر بامخرمة صفات المكرم ، قائلاً : « . . . كان ملكًا ضخمًا شجاعًا شهمًا ، جوادًا ، هُمامًا ، فارسًا مِقدامًا « . فتلك الصفات للمكرم تدل بوضوح بأنه صاحب شخصية قوية أو حاكمًا لا يستطيع أحد التأثير عليه . فعندما فوض شئون البلاد لزوجته سيدة بنت أحمد ، كان على يقين تام بأنها ستكون قادرة على الإمساك بمقاليد الأمور في البلاد . والحقيقة أنّ الثقة التي أولاها زوجها أحمد المكرم في حكم البلاد ، كانت أيضًا محل تقدير واحترام كبيرين من الخليفة الفاطمي المستنصر . فبعد أنّ توفى زوجها المكرم سنة 477هـ ، فقد فوض لها الخليفة الفاطمي التصرف في أمور الدولة والدعوة في اليمن ، والهند ، وعُمان ، علاوة على ذلك منحها الألقاب الكبيرة التي تدل على مكانتها الرفيعة التي حظيت بها عند الخليفة المستنصر الفاطمي ، والدعاة الإسماعيلية الكبار أو بعبارة أخرى عند مصر الفاطمية .

مكانة السيدة الحرة اروى عند الفاطميين

والحقيقة أنّ السيدة الحرة الملكة الصليحية ، كانت مخلصة للدولة الفاطمية بوجه عام ، والخليفة الفاطمي المستنصر بوجه خاص ، وكانت الأوامر الذي يصدرها الخليفة تنفذ في الحال دون مناقشة أو اعتراض , على غرار مؤسس الدولة الصليحية علي بن محمد الصليحي وأبنه الملك أحمد المكرم. فقد كانت الدولة الصليحية في اليمن تابعة لمصر الفاطمية تدور في فلكها أو امتدادًا لنفوذها السياسي والروحي . وهذا ما أكده المؤرخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في سياق حديثه عن مراسيم المُلك وتقاليده في الدولة الصليحية التي قلدت مصر الفاطمية في هذا الأمر ، فيقول : « . . . أنها ( أي الدولة الصليحية ) كانت من أقدم دول اليمن أخذًا بمراسيم المُلك وتقاليده ، وعاداته وأنظمته ، ذلك لأن دعاتها ترسّموا عادات وتقاليد الحكام الفاطميين ( العُبيدِيين ) ـــ ترج تلك التسمية إلى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ــــ بحذافيرها بسبب التبعية والولاء لهم في المذهب والعقيدة ، فمنهم كانوا يستمدون سِجلات ( مراسيم ) التعيين لهم ، ومنهم كانوا يأخذون الألقاب الرسمية الممنوحة لهم ، والتي يتعين على الناس إذا خاطبوهم أن يخاطبوهم بها « . ويمضي مؤرخنا إسماعيل الأكوع ، قائلاً :" فلا جرم إذا صاروا تبعًا لهم يدورون في فلكهم ، ويلتزمون بتعاليمهم ، ويأتمرون بأمرهم ، وينتهون بنهيهم ، ويقلدونهم في شؤونهم كلّها ، وما ذا إلاّ امتدادُ ُ لنفوذهم في اليمن" .

اليمن والخلفاء الفاطميون
ويذكر الدكتور سيد مصطفى سالم مسألة هامة عن النفوذ الفاطمي في اليمن بأنه لم يكن نفوذاً سياسيًا بقدر ما كان نفوذًا روحياً ، فيقول : « ويلاحظ أنّ النفوذ الفاطمي في اليمن كان نفوذاً روحيًا أكثر منه سياسيًا ، أمّا النفوذ الأيوبي هناك ، فقد كان نفوذاً سياسيًا مباشرًا ، إذ الحق اليمن حينئذ بمصر اعتمادًا على قوة الأيوبيين العسكرية « . والحقيقة أنّ مصر الفاطمية ، كانت في تلك الفترة التاريخية وتحديدًا في أواخر عهد حكم الخليفة المستنصر طويت صفحة الخلفاء الفاطميين الأقوياء العظام . وظهر على الساحة السياسية خلفاء فاطميين ضعفاء مسلوبي الإرادة . فقد باتوا ألعوبة بيد الوزراء الكبار في الدولة . وكان وضع المستنصر وضعًا ضعيفاً مهزوزاً بعد أنّ تولى الوزارة في مصر الفاطمية والي عكا الأمير بدر الجمالي المتوفى ( 487هـ / 1086م ) الذي تحكم في شئون الخلافة في صغيرها وكبيرها , وانعزل الأول عن شئون الحكم وفي أثناء تلك الفترة التاريخية قامت الدولة الصليحية في اليمنية التي كانت تسير على نهج المذهب الفاطمي ( الإسماعيلي ) ، وكان يظن رجالات الدولة الصليحية وعلى رأسهم مؤسس الدولة الصليحية الداعي علي بن محمد الصليحي بأنّ الخليفة الفاطمي المستنصر خليفة قوي له المكانة والهيبة في دولته من ناحية وله اليد الطولي في الوطن العربي والعالم الإسلامي من ناحية أخرى ، وعندما طلب الصليحي من المستنصر أنّ يؤذن له بالمثول أمامه ، ويتشرف بزيارته ، رد عليه الخليفة الفاطمي بأنّ الوقت غير مناسب ، والحقيقة كان رده ذلك يعود إلى خشيته أنّ يرى ويلمس وضعه المهزوز والضعيف والمتآكل أمام وزيره أمير الجيوش بدر الجمالي الذي بسط نفوذه على كل مكان من مصر الفاطمية وبات الخليفة المستنصر لا حول له ولا طول . وكان من نتائج ظهور الأمير بدر الجمالي في الخلافة الفاطمية هو انتقال السلطان والصولجان والنفوذ من الخلفاء الفاطميين إلى أيدي الوزراء مما أدى إلى اندلاع الصراع السياسي بين اليمن ومصر الفاطمية .

اليمن والبحر الأحمر
والحقيقة أنه عندما انتقلت اليمن من نفوذ الخلافة العباسية السُنية في بغداد إلى الخلافة الفاطمية في القاهرة في عصر الدولة الصليحية في اليمن ، كان لها نتائج هامة على صعيد حوض البحر الأحمر حيث صار ذلك الشريط المائي الحيوي والخطير تحت سيطرة مصر الفاطمية ، فكانت الأخيرة تسيطر على الطرف الشمالي منه والدولة الصليحية في اليمن تسيطر على الطرف الجنوبي منه وبذلك صار البحر الأحمر خاضعًا للنفوذ الإسلامي وبات هناك وحدة سياسية لحوض البحر الأحمر تشرف عليه في طرفه الشمالي مصر الفاطمية ، وتتحكم فيه في طرفه الجنوبي الدولة الصليحية في اليمن ـــ كما قلنا سابقا ـــ . وهذا ما أكده الدكتور سيد مصطفى سالم ، قائلاً « أمّا الأهمية الثالثة للدولة الصليحية في تاريخ اليمن الإسلامي ، فهي تتركز في أنّ هذه الدولة ، قد نقلت ولاء اليمن لأول مرة من بغداد العباسية إلى القاهرة الفاطمية ، فوضع الصليحيون بذلك الأسس الأولى لوحدة حوض البحر الأحمر السياسية ، وخاصة بعد أنّ أصبح هذا البحر بحيرة إسلامية بعد انتشار الإسلام على شاطئيه « .

اليمن بين مصر و بغداد
والحقيقة أنّ الخلافة العباسية عندما خرجت اليمن من نفوذها السياسي وانتقل ولاؤها إلى مصر الفاطمية ( الشيعية ) لم تحرك ساكنًا ولم تمد يد العون للإمارات الإسلامية السنية التابعة أو الموالية لها مثل إمارة نجاح في زبيد مما مكن علي بن محمد الصليحي أنّ يخضعها لفترة من الوقت للسيادة الفاطمية . في الوقت الذي سارعت الدولة الفاطمية في القاهرة بمد يد العون ومساعدة الدولة الصليحية الناشئة والتي تمثل امتدادًا لنفوذها في اليمن . وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور محمد صالح بلعفير : « . . . سانده ( أي الصليحي ) الفاطميون في مصر بالدعم المادي والمعنوي ، وتجلى ذلك في الدعم الذي قدمه الإمام المستنصر . . . بعد نجاحه في إظهار الدعوة في اليمن ، وخوضه الحروب ضد القوى السياسية والمذهبية التي كانت تتقاسم حكم اليمن . كما تمثل ذلك الدعم في إرسال الأموال من الدنانير التي ضربت في القاهرة على النمط الفاطمي والتي تحمل اسم مدينة زبيد ، وذلك على عكس العباسيين الذين لم يحاولوا مد يد العون إلى أتباعهم النجاحيين أصحاب زبيد ، وأنّ يُخلصوا اليمن من الدعوة الفاطمية « .

صاحبة قرار سياسي
وعلى الرغم ما ذكره مؤرخنا القاضي الأكوع حول التبعية والولاء الكامل للدولة الفاطمية في مصر . فقد كانت السيدة بنت أحمد الصليحي ، صاحبة شخصية سياسية مستقلة تنأى في أحايين كثيرة عن أوامر الفاطميين في العديد من القضايا الهامة المتمثلة بأنّ تكون الدعوة المذهبية أو الدعوة الدينية تحت أشراف الفاطميين مباشرة وليست تحت أشراف اليمن أو تخضع لأشرافها ولكنها رفضت رفضًا قاطعًا الانصياع إلى أوامر مصر الفاطمية حتى ولو كان صادر من الخليفة المستنصر نفسه التي توقره ، وتبجله ، وتلتزم بأوامره والذي بيده مقاليد الإمامة والخلافة لكون أنّ ذلك القرار الخطير سيسحب البساط الروحي والسياسي من تحت قدميها أو بعبارة أخرى أنّ اليمن لن تكون لها أية نفوذ سياسي وروحي في المنطقة التي حولها . وعلى أية حال ، هذا بأنّ سيدة بنت أحمد كانت صاحبة قرار بصرف النظر عن العلاقة القوية والمتينة التي تربطها بمصر الفاطمية في الكثير من المسائل السياسية والروحية الهامة فرفضت أنّ يملى عليها الأوامر الفاطمية التي تتدخل في شئونها وشئون اليمن . وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور محمد صالح بلعفير : « . . . فإنا نعتقد أنّ الصليحيين ، وبخاصة سيدة بنت أحمد التي كان لها تأثير قوي آنذاك ، لم يمكنوا القاضي لملك بن مالك من القيام منفردًا بأمر الدعوة وإنما استفادوا منه في ضبط حركة دعوة اليمن وفي الأشراف عليها إلى جانبهم حتى لا تخرج قيادة الدعوة من أيديهم « . ومن القضايا الهامة التي واجهتها السيدة الحرة الملكة الصليحية وأثارت عليها نقمة مصر الفاطمية أو بعض الخلفاء وهي قضية التوريث في الحكم . فبعد وفاة المستنصر ، تولى سدة الخلافة الابن الأصغر للمستنصر والذي لقب بالمستعلي بدلاً من أخيه الأكبر نزار ، وكان ذلك اختراق خطير في شئون توريث الإمامة والخلافة في العقيدة الفاطمية ( الإسماعيلية ) ووقفت سيدة بنت أحمد موقفاً صارمًا من الخليفة المستعلي التي رفضت الاعتراف بشرعيته كأمام وخليفة وظلت على وفائها العميق لنزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر . وكانت الدعوة في اليمن تدعو له . ومثلما حدث من موقفها مع الخليفة الفاطمي المستعلي حدث مع الخليفة الفاطمي الحافظ ـــ أيضا ـــ الذي انقض على عرش الخلافة وأخذها عنوة من الطيب ابن الخليفة الآمر بن المستعلي .

السيدة الحرة وولاية العهد
تحدثنا قبل قليل عن موقف السيدة بنت أحمد الصليحي من قضية وراثة الإمامة والخلافة في المذهب الإسماعيلي أو في بعبارة أخرى في نظام الحكم في الخلافة الفاطمية ، وقد كانت السيدة متمسكة بقوة بأهداف تلك الوصية الذي يوصي بها الخليفة الفاطمي لمن يتولى الإمامة والخلافة من بعد وفاته . والحقيقة لقد خاضت السيدة الحركة الملكة الصليحية معارك سياسية ضارية مع الوزراء الذين باتوا يتحكمون بمصير الخلفاء والخلافة الفاطمية . وقد اشتعلت تلك المعارك السياسية بُعيد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر ، عندما تولى كرسي الحكم المستعلي الابن الأصغر للمستنصر بدلاً من أخيه الأكبر نزار . وكانت تلك سابقة خطيرة في نظام الحكم الفاطمي لم يعهد بها من قبل ـــ كما قلنا سابقاً ـــ ولذلك نجد أنّ السيدة بنت أحمد تقف من تلك المسألة المتعلقة من ولاية العهد موقفاً صارمًا وقويًا ، ورفضت رفضًا قاطعًا أنّ يجلس على سرير الخلافة الفاطمية بعد وفاة المستنصر المستعلي بدلاً من نزار ( الأخ الأكبر ) . والحقيقة أنّ موقف السيدة بنت أحمد الصليحي من مسألة تولية العرش والإمامة في العقيدة الفاطمية ، كان واضحًا وصريحًا وجريئاً ولم يتزعزع حتى وفاها الأجل . ونستطيع القول بأنه حدث انقسام خطير بين اليمن ومصر الفاطمية ، فاليمن ، كانت تؤيد الابن الأكبر نزار للخليفة المستنصر ، وأنّ الخليفة المستعلي لم يكن له نفوذ يذكر فيها ودليل ذلك هو غياب اسم المستعلي على الدنانير الصليحية ، وتأخير ضرب اسم الخليفة الآمر بن المستعلي عليها ـــ على حسب قول الدكتور محمد بلعفير ـــ .

مع الخليفة الآمر
حقيقة أنّ سيدة بنت أحمد , وقفت موقفاً جادًا إزاء مسألة ولاية العهد الذي اخترقت بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر ـــ الذي كان يولي الملكة الصليحية عناية خاصة ــــ ورفضت بشدة أنّ يتولى الخلافة المستعلي ( الابن الأصغر ) بدلاً من نزار ( الابن الأكبر) الإمامة والخلافة ـــ كما قلنا سابقاً ـــ . ولكن الأوضاع السياسية في بلادها فرضت على السيدة بنت أحمد إعادة جسور العلاقة الصليحية الفاطمية إلى سابق عهدها بسبب اهتزاز أركان دولتها التي أخذت تتناقص أطرافها وتتآكل نفوذها ، فاتصلت بالخليفة الفاطمي الآمر بن المستعلي المتوفى ( 524 هـ / 1130م ) لمساعدتها على إرسال مستشار يساعدها على حل الكثير من أمور الدولة والتصدي للطامحين إلى سلطانها ،وكان ذلك كذلك فأرسل لها ابن نجب الدولة الذي استطاع أنّ يوطد دعائم ملكها ، ويقضي على الكثير من مناوئيها . وتذكر الروايات التاريخية بأنّ هناك سبب آخر حول أعادة العلاقات الصليحية الفاطمية في إبان عهد الخليفة الآمر وهو من أجل الحفاظ على وحدة الصف بين رؤساء الدعوة في مصر الفاطمية ، والدعاة في اليمن أو بعبارة أخرى وحدة الصف الروحي بين البلدين . وسارت الأمور بين السيدة بنت أحمد والخليفة الآمر على خير ما يرام ولكن سرعان ما خيم على أفق العلاقات الصليحية الفاطمية غيوم الانقسام الكثيف بسبب اغتيال الخليفة الفاطمي الآمر على يد خصومه السياسيين. ولم يمض وقت قصير حتى قفز على كرسي الخلافة الفاطمية الحافظ , وكان قبلها قد أوصى الخليفة الآمر أنّ يتولى ابنه الطيب الخلافة من بعده ، وكان ذلك انقسامًا جديدًا وخطيرًا أحدث شرخاً كبيرًا وواسعًا في بنيان الخلافة الفاطمية التي أخذ يتداعى شيئاً فشيئاً حتى سقوطها في عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين في مصر على يد الحاكم القوي الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي أعاد مصر إلى أحضان الخلافة العباسية السُنية مرة أخرى أكبر وأخطر الولايات على خريطة الوطن العربي والعالم الإسلامي .

مع الخليفة الحافظ
وفي واقع الأمر ، لقد ظلت مسألة ولاية العهد في إبان حكم سيدة بنت أحمد الصليحي الشغل الشاغل لها حيث فرضت المتغيرات السياسية التي خرجت من مصر الفاطمية عليها تلك المسألة الخطيرة . فعندما اغتيل الخليفة الآمر بن المستعلي سنة ( 524 هـ / 1130م ) . تقلد الخلافة الحافظ لدين الله ابن عم الآمر ، بدلاً من ابنه الطيب . وفي هذا الصدد ، يقول محمد بلعفير : « على أي حال ظلت العلاقات المذهبية بين الطرفين الصليحي والفاطمي قوية إلى حين اغتيال الخليفة الآمر على يد بعض النزارية . . . وكان لهذا الحدث آثار بعيدة المدى على تاريخ مصر الفاطمية ، ودعوتها في اليمن بوجه خاص « . وكان من نتائج ذلك هو الانقسام الحاد الذي زلزل كيان الخلافة الفاطمية من ناحية وعلى كيان الدولة الصليحية في اليمن نفسها من ناحية ثانية الذي كان يحيط بها محيط من السُنة حولها . وأحدث ذلك قطيعة سياسية وروحية بين اليمن برئاسة سيدة بنت أحمد ومصر الفاطمية بزعامة الحافظ « فانقسمت الدعوة الفاطمية مرة أخرى إلى فرقتين : إسماعيلية حافظية يرون إمامة الحافظ ومركزها مصر ، وإسماعيلية طيبيه تعتقد في إمامة الطيب ، وتطعن في إمامة الحافظ مستقرها اليمن ، وترى أنّ الخليفة الآمر ، قد نص على ابن له في حياته وهو أبو القاسم الطيب « .

اليمن مركز ثقل روحي
الحقيقة أنّ اليمن الصليحية ، كانت دائمًا وأبدًا محافظة على ولائها الكامل والشامل لمصر الفاطمية ، وتدور في فلكها ــ كما قلنا سابقاً ـــ . وكانت مصر الفاطمية تدرك تمام الإدراك أنّ اليمن تمثل مركز ثقل روحي لنشر الدعوة الفاطمية ( الإسماعيلية ) في الهند ، والسند ، وعُمان ، الإحساء ، والبحرين. ولذلك رأى داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن موسى الشيرازي ( باب أبواب الإمام المستنصر بالله الفاطمي ) أنّ الظروف السياسية في مصر الفاطمية في طريقها إلى التدهور والسقوط في قيعان الفوضى والاضطراب بسبب تحكم الوزراء بالخلفاء الفاطميين ، وخصوصًا بعد أنّ تولى زمام الأمور الوزير وأمير الجيوش بدر الجمالي في عهد إبان حكم الخليفة الفاطمي المستنصر الذي وضع في قبضته كل السلطات التشريعية والتنفيذية ، ويكفي أنه تولى رئاسة أو إمامة الدعوة ، وتلك أيضًا سابقة جد خطيرة ، أنّ يتولى قائد عسكري إمامة الدعوة . فقد رأى المؤيد بغرض الحفاظ على التراث الأدبي الفاطمي أنه من الضرورة بمكان نقله إلى اليمن . وفي هذا الصدد ، يقول حُسين فيض الله الهمداني : « . . . ظهرت في مخيلة الداعي المؤيد ، أنّ الدولة ( يقصد الدولة الفاطمية ) على هذا الوضع مصيرها إلى الزوال . لذلك وجب تحويل آداب الدعوة إلى مكان يضمن حفظها ، ولم يكن هذا المكان إلاّ اليمن . وساعد على ذلك أنّ الدعوة الفاطمية الرسمية ، كانت قد استقرت في بلاد اليمن ، لأن دعوة اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية بعد أنّ فقد تلك الدعوة نفوذها لضعف أمرها في كل من شمال إفريقية ، ومصر ، وسورية ، والعراق ، وفارس « .

مع الطيب بن الآمر
ولقد أوضحنا كيف خاضت سيدة بنت أحمد معارك مذهبية ضارية مع الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم الخلافة الفاطمية بعد رحيل المستنصر بالله عن مسرح مصر الفاطمية السياسي . مثلما حدث مع الخليفة المستعلي ( الأخ الأصغر ) الذي جلس على سرير المُلك بدلاً من أخيه نزار ( الأخ الأكبر بن الخليفة المستنصر ) ، ولكن نظرًا للرياح السياسية القوية والمضطربة التي هبت على الدولة الصليحية اضطرت إلى إعادة جسور العلاقة الصليحية والفاطمية إلى سابق عهدها ــ كما قلنا سابقاً ـــ . ولكن عادت الاضطرابات السياسية والقلاقل ، والفتن مرة أخرى تطل برأسها من داخل أروقة قصر الخلافة الفاطمية في القاهرة بعد اغتيال الخليفة الآمر بن المستعلي سنة ( 524 هـ ) على يد مناوئيه السياسيين من أنصار وأتباع النزارية . وبعد مصرع الآمر يستولي ابن عمه الأمير أبي الميمون بن عبد المجيد بن محمد على زمام الخلافة ويلقب بالخليفة الحافظ لدين الله . ومرة أخرى تشتعل الخصومة الحادة بين السيدة الحرة والخليفة الفاطمي الحافظ المغتصب للخلافة من الطيب بن الآمر ولا تعترف به إمامًا و خليفة حتى أخر أيام حكمها . وهذا ما أكده الدكتور محمد صالح بلعفير من خلال المسكوكات التي ضربت في أثناء عهد حكم السيدة بنت أحمد الصليحي والتي دلت بوضوح بعدم اعترافها بشرعية الحافظ الذي استولى على كرسي الخلافة دون وجه حق من الطيب بن الخليفة الآمر ، فيقول : « وفي اليمن لم تنظر السيدة بنت أحمد بعين الرضا إلى وصول الحافظ إلى الخلافة ، ورفضت أنّ تقيم الدعوة له ، وانعكس ذلك الرفض ليس فقط في مصادر إسماعيلية اليمن ، بل في بعض الآثار المادية للدولة الصليحية ( المسكوكات ) . فقد ظل اسم الخليفة الآمر ابن المستعلي يضرب على الدنانير الصليحية حتى سنة 530 هـ ( 1136م ) ـــ وهو أحدث تاريخ معروف حتى الوقت الحاضر ـــ في حين أنه توفي سنة 524 هـ / 1130م . وليس من شك في أنّ استمرار ضرب اسم الآمر حتى هذا التاريخ يعني عدم اعتراف السيدة بنت أحمد بشرعية إمامة وخلافة الحافظ ، فالسيدة كانت قد حددت موقفها منه بعد اعتلائه العرش ، ورأت فيه مغتصبًا للإمامة والخلافة اللتين كان ( كانا ) من المقرر أنّ يرثهما الطيب بن الآمر « .

معارك سياسية ضارية
والحقيقة أنّ المعارك المذهبية القاسية والصعبة التي خاضتها سيدة بنت أحمد مع مصر الفاطمية أو بعبارة أخرى مع بعض الخلفاء الفاطميين الذين تولوا مقاليد الحكم بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر المتمثلة بمبدأ التوريث أو ولاية العهد سواء في الإمامة أو الخلافة في نظام الحكم الفاطمي . كان في حقيقة الأمر هو صراع سياسي في الدرجة الأولى لكون أنّ هؤلاء الخلفاء الفاطميين كالخليفة المستعلي بن المستنصر ، والخليفة الآمر بن المستعلي ، والخليفة الحافظ أرادوا أنّ يفرضوا على الملكة الصليحية سيدة بنت أحمد اعترافهم بشرعية جلوسهم على كرسي الخلافة الفاطمية . ولكن سيدة بنت أحمد وجدت أنّ ذلك الأمر هو بمثابة إملاء سياسي على شخصيتها المستقلة ، وشخصية اليمن المستقلة التي كانت تعتز بها أيما اعتزاز. وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أنّ المعركة أو المعارك التي دارت بين اليمن أو السيدة الحرة الملكة الصليحية ما هي إلا صراع فكري أو مذهبي بين الأخيرة والخلفاء الفاطميين الذين ذكرناهم قبل قليل ولكنه في حقيقة الأمر ينطوي على صراع سياسي في الدرجة الأولى بين اليمن ومصر الفاطمية وبعبارة أخرى ظاهره صراع مذهبي وباطنه في حقيقة الأمر صراع سياسي . وكيفما كان الأمر ، فقد كانت سيدة بنت أحمد متعمقة بالتراث الفاطمي ومتمسكة به التي تبحرت في فروع علومه حيث كانت « متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون إليها» ـــ كما سبق وأنّ ذكرنا ـــ . ونستطيع أنّ نتجرأ ونقول أنّ سيدة بنت أحمد ، كانت ( باب أبواب الإمام المستنصر بالله الفاطمي ) . وكان ذلك يعني أنها كانت تحتل مكانة عالية في تراث الفكر الفاطمي من ناحية ولها وزنها السياسي في ساحة الخلافة الفاطمية من ناحية أخرى , وشخصية مثل تلك تملك كل المقومات الروحية والسياسية أو بعبارة أخرى تجمع بين الزعامة الدينية والرئاسة الزمنية لا بد أنّ تكون شخصية قوية مستقلة ترفض الإذعان حتى من الخلفاء الفاطميين الذين كانوا يجمعون بين السلطة الروحية والزمنية أي بين الإمامة والخلافة إذا لم تكن مؤمنة بها إيماناً عميقًا . ولقد رأينا ذلك عندما كانت العلاقات بين اليمن ومصر الفاطمية في أوج قوتها في عهد حكم الخليفة المستنصر بالله الذي رفض أحد كبار الدعاة أو داعي الدعاة على الملك المكرم أحمد ، وكذلك على سيدة بنت أحمد ليشرف على شئون الدعوة الفاطمية ( الإسماعيلية ) في اليمن ولكنهما رفضا الإذعان لتلك الأوامر الصادر من الخليفة الفاطمي أو من مصر الفاطمية .

بين جذب وشد
والحقيقة أنّ العلاقات بين اليمن ومصر الفاطمية كانت بين جذب وشد ، ولم تكن صورة الوردية كما رسمها الكثير من مؤرخي الدولة الصليحية و الفاطمية عنها . فقد شابها الكثير من التوتر والفتور بل والقطيعة في أواخر عهد حكم سيدة بنت أحمد الصليحي التي رفضت الاعتراف بشرعية الحافظ للإمامة والخلافة الفاطمية بتاتاً اللتين اغتصبهما من الخليفة الشرعي وهو أبي القاسم الطيب بن الخليفة الفاطمي الآمر . ومن قبله ، خاضت معركة عنيفة مع المستعلي الذي سلب شرعية الإمامة والخلافة من أخيه الأكبر نزار بن الخليفة المستنصر . وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور محمد صالح بلعفير : « ليس من شك في أنّ موضوع العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية ، قد وصلت إلينا الكثير من معطياته سواء عن طريق المصادر التاريخية أو البحوث التي كتبها عدد من الباحثين المحدثين عربًا وأجانب على حدٍ سواء . ويفهم من معظم تلك المؤلفات أنّ العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية ، كانت على خير ما يرام . بيد أنّ المصادر الأثرية ـــــ ونعني بها هنا مسكوكات ( نقود ) الصليحيين و الزريعيين ( الذين كانوا ولاة الدولة الصليحية في عدن ولحج وانفصلوا عنها في حكم سيدة بنت أحمد ) ــــ . قد كشفت في بعض فتراتها عن غير ذلك . وأنّ تلك العلاقات قد حدثت فيها تقلبات وتجاذبات بين الطرفين : الصليحي ـــ الفاطمي . . . « .

تميّز حكمها بميزات عدة؛ منها:
1- الإصلاح والتعمير للحصون، والمدارس، وسواقي المياه، وكثرة
الأوقاف لأعمال الخير.

2- نفوذها القوي في الدولة، وسيطرتها على مراكز القرار بذكاء وكرم،
وحسن استغلال المال لتحريك القبائل في توجهها السياسي والعسكري،
وشئون الدعوة، عدا في الفترة الأخيرة، فترة شيخوختها.

3- حسن اختيارها للوزراء، وذوي الكفاءات.

4- كانت أول ملكة تهتم بالثروة الحيوانية؛ إذ أوقفت عددًا من الأراضي
الزراعية لتربيتها.

5- قامت بتعبيد عدد من الطرقات ورصفها بالحجارة، ولا تزال شاهدة على
ذلك حتى اليوم.

6- بنت العديد من خزانات المياه، وأوصلت الماء منها عبر سواقٍ مدفونة
إلى عدد من القرى.

7- بناء جامع مدينة (جبلة) المعروف باسمها.

8- توسيع الجامع الكبير في مدينة صنعاء.

9- توسيع جامع مدينة (الجنَد).

10- كانت لا تقمع أي طائفة تعتقد غير مذهب (الإسماعيلية)، ولا تستخدم
القوة لحرب الفكر والمعتقد السني.

توفيت سنة 532 هـ / 1138 م

الهوامش :

اعتمدنا في موضوعنا كلية على بحث الأستاذ الدكتور محمد صالح بلعفير تحت عنوان ( العلاقات المذهبية بين اليمن ومصر الفاطمية في عصر الدولتين الصليحية والزريعية ) . مجلة اليمن ، العدد الخامس والعشرون ، جمادي أول 1428هـ / مايو 2007م .

حسين بن فيض الله الهمداني ؛ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، دار المختار للطباعة والنشر ـــ دمشق ـــ .

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ؛ أعراف وتقاليد حكُام اليَمَن في العَصر الإسلامي ، الطبعة الأولى 1994م ، دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ـــ لبنان ـــ .

عبد الله الطيب بامخرمة ؛ تاريخ ثغر عدن ، تحقيق : أوسكار فوفجرن ــ الجزء الأول ـــ الطبعة الثانية 1407هـ / 1986م ، شركة دار التنوير للطباعة والنشر ـــ بيروت ـــ لبنان ـــ .

دكتور سيد مصطفى سالم ؛ الفتح العُثماني الأول لليمن 1538 ـــ 1535م . الطبعة الخامسة نوفمبر 1999م ، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع ـــ القاهرة ـــ جمهورية مصر العربية.

آل معن في عدن

نورد لكم جزء من تاريخ حكام عدن والجنوب قديما وهم بنو معن سلاطين العوالق العليا والسفلى وقد ظهرت دولتهم آبان ضعف الحكم المركزي للخلافه الاسلاميه في بغداد وحكامها العباسيين والذي كان سبباً في قيام عدد من الدويلات في العالم العربي والاسلامي ومنها اليمن وفي اليمن قامت الدوله الزياديه والدوله الزريعيه ودولة بني نجاح والدوله الرسوليه والدوله الصليحيه وهذه الاخيره هي التي كانت نهاية دولة بني معن على يديها والذي اخرجهم منها الملك الصليحي المكرم بن علي زوج السيده اروى بنت احمد الصليحيه ولكن بعد ان هزموا بني معن واخرجوهم من عدن نزلوا الى ارض العوالق وانشئوا دولتهم فيها وكانت ( يشبم ) اول عاصمة لبني معن بعد خروجهم من عدن ومع مرور الزمن وتكاثر الوادي بقبائل آل علي آشار الشيخ عبيد بن عبدالملك بانافع على سلاطين بني معن ان يتفرقوا وبالفعل ذهب احدهم الى نصاب وكون سلطنة العوالق العليا والآخر ذهب الى آحور وكون سلطنة العوالق السفلى وبقي آل علي في واديهم يتزعمهم آل فريد بن ناصر ( لمراجعة قصة تفرق سلاطين بني معن في ارض العوالق الرجوع الى كتاب تاريخ قبائل العوالق للمؤلف الدكتور علوي عمر بن فريد )
وهكذا قامت بعد ذلك سلطنات بني معن او سلطنات العوالق ونجد انهم ما زالوا يذكرون عدن وبقية مناطق الجنوب انها ما زالت من املاكهم حتى وان اخذت عليهم والدليل انهم يقومون بغزو مناطق الجنوب لاخذ العشر او الحقوق كما يسمونها وصار ذلك الى ان اتت بريطانيا فوقعوا معها الحمايه وكما قلت هذا جزء من تاريخ دولة بني معن وساحاول بأذن الله ان افيدكم فيما بعد عن قائمة حكامهم قديما ايام الدوله الزياديه وغيرها من الدول التي عاصرتها وعن اعمالهم وارجو من اي عضو يعرف عن تاريخ بني معن ولو القليل ان يفيدنا عنه مشكوراً .

وهنا افرد لكم ما قالته بعض كتب التاريخ عن دولة بني معن .

وقد استطاع آل معن الاستقلال بحكم عدن سنة 412هـ ، حتى طردهم آل زريع ولم تتوسع المصادر في الحديث عن هذه الأمارة المعنية
ذكر ابن خلدون عند الحديث عن عدن : كانت صدر الإسلام دار ملك لبني معن ينتسبون إلى معن بن زائدة ، ملكوها من أيام المأمون وامتنعوا على بني زياد ، قنعوا منهم بالخطبة والسكة ، ولما استولى الداعي على بن محمد الصليحي رعى لهم ذمام العروبية ، وقرر عليهم ضريبة يعطونها ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم (ابن خلدون ج4 ص 279) .

وجاء في تاريخ عمارة : ممن تغلب على عدن وأبين ولحج والشحر وحضرموت بنو معن (عمارة ص 86) .

وذكر صاحب (غاية الأماني) : ودخلت سنة 410هـ وعدن ولحج وأبين وحضرموت والشحر إلى بني معن (ابن الحسين ج1 ص241) وقال في موضع آخر : فلم يزل بنو معن يرفعون إليها - إلى زوجة المكرم الصليحي - خراج عدن إلى أن قتل علي الصليحي ثم تغلبوا على ما قبلهم فغزاهم المكرم بعد عوده من زبيد ، وأخرجهم من عدن" (ابن الحسين ج1 ص260) .

وتذكر إحدى كتب تاريخ عدن أن الداعي علي بن محمد الصليحي لما استولى على اليمن ، وافتتح عدن وأخذها من بني معن ، وكانوا قد استولوا عليها بعد موت الحسين بن سلامة عليها وعلى لحج وأبين وحضرموت والشحر وليسوا من ذرية معن بن زائدة ، فأبقاها الصليحي تحت أيديهم ، وجعلهم نواباً له فيها ، فلما تزوج ابنه المكرم على الحرة السيده اروى بنت أحمد جعل لها علي بن محمد الصليحي صداقها ، فكان بنو معن يرفعون خراجها إلى السيدة في أيام الصليحي ، فلما قتل تغلب بنو معن على ما تحت أيديهم من البلد ، فقصدهم المكرم إلى عدن وأخرجهم منها (بامخرمة ج2 ص79) .

وجاء في منظومة القاضي العرشي وحاشيتها :

وطوقت آل معن بعد عقدهم=طوال النكال على الأعناق والقصر

آل معن هؤلاء ملوك عدن وما إليها من حضرموت ولحج وأعمالها وما إليها، وكان ابتداء ملكهم سنة 412هـ ، إلى أن أزالهم الله وأخرجهم عنها المكرم الصليحي من بعد سنة 460هـ (العرشي ص 21).

وذكر مؤلف "اليمن شماله وجنوبه" : إن بني معن أخرجوا من بقي فيها - أي في عدن - من بني زياد عام 1019م ، واستولوا عليها ، حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام 1062م ، فاستولى عليها ، وعهد بإدارتها إلى بني معن كولاة من قبل بني الصليحي ، فلما تمرد بنو معن على حكم بني الصليحي في عام 1083م توجه المكرم الصليحي إلى عدن وطرد منها بني معن (المحامي ص 172).

وكان بدايات دولة آل معن - وكما ذكر المؤرخين - حوالي 410هـ بعد انحسار الدولة الزيادية ، وقيام دولة آل نجاح في تهامة ، ولعل آل معن كانوا ولاة عدن من قبل الدولة الزيادية ثم استقلوا بحكمها ، فلما تقوت دولة آل نجاح تركوا آل معن ولاة لعدن كنواب عنهم ، وعندما جاء الصليحي وأسقط آل نجاح سنة 455هـ ترك آل معن في عدن .

أما نهاية دولتهم فكانت بعد مقتل على الصليحي مؤسس الدولة الصليحية فتمرد آل معن مما دفع بالمكرم بن علي الصليحي إلى إخراجهم من عدن وتولية آل زريع من يام حكاماً لعدن سنة 467هـ وخرج آل معن إلى أحور (الجرافي ص123) .

ويبدو أن خروج آل معن إلى أحور كان نهائياً إذ استقروا فيها ، ومنها انتقلوا إلى بلدانهم الحالية في بلاد العوالق العليا ، حيث أصبحوا أبرز القبائل في تلك المنطقة .

وقد عد المؤرخون عدداً من حكام هذه الدولة كلهم أخوة هم : علي بن معن ، ثم العباس ثم محمد ابني معن (الجرافي ص 123) .

ويظهر من تتبع النصوص السابقة أن دولة آل معن كانت تتبع الدولة الصليحية ، مع أن العلاقة بينهما لم تكن حسنة ، ولعل ذلك يرجع إلى كونهم يسوقون خراج عدن لها ، لذا استغلوا أول فرصة وهن للدولة الصليحية ، وهي مقتل علي الصليحي ، وقاموا بتمردهم الذي أدى إلى إنهاء دولتهم ، ويظهر كذلك أن دولة آل معن لم تكن قوية ، إذ لم يذكر أنها اصطدمت بالدول التي عاصرتها في اليمن . أما عن حكم آل معن لحضرموت - إذا افترضنا صحة ذلـــك - فهو حكم اسمي لم يتعد حضرموت الساحل ، ويؤكد ذلك خلو كتب التاريخ الحضرمي من ذكر لدولة آل معن ، ويبدو أن المؤرخين قد أطلقوا ذلك باعتبار آل معن نواباً للدولة الزيادية ثم للدولة الصليحية اللتين وصل حكمها إلى حضرموت. (للاطلاع انظر مقالة الدكتور أمين صالح حول بني معن مجلة المؤرخ العربي العدد 21).

أما عن نسب آل معن فهناك رأيان يرجع أحدهما هذا النسب إلى معن بن زائدة الشيباني ، ورأي آخر ينفي ذلك ، وابرز من قال بهذا الرأي ابن خلدون ، ومن اتبعه من المحدثين أمثال الجازع . ويذهب للرأي الثاني أكثر المؤرخين أمثال صاحب "ثغر عدن" ومؤلف تاريخ عمارة ، والمحقق العلامة محمد بن علي الأكوع، الذي يعلق في حاشية تاريخ عمارة بقوله : بنو معن هؤلاء من حمير ثم من الأصابح" (عمارة ص86) .

ويذكر باوزير أن من ملوك كندة الملك أبو الفضل عباس بن معن من حوشب الكندي وذكر شعراً لأبي إسحاق الإباضي يمدح هذا الملك

:أبي الفضل عباس بن معن بن حوشب=ذرى كنده العليا الملوك القماقم
 أقمت سنيناً قبل ألقاه لاهيـاً =أقاسي من الأعداء مر العلاقـم

وقد يكون قول ابن خلدون في هذه المسألة ليس بحجة لبعده عن بلدان الجزيرة ، ولعله استنتج النسب من تطابق الأسماء ، وكون معن بن زائدة وآل معن قد حكما عدن ، والراجح عندي كون آل معن من حمير لعدم وجود نص ثابت يربط آل معن بمعن بن زائدة ، إضافة إلى أن عهد معن بن زائدة في عدن كان قصيراً ودموياً ، لا يمكن أن يوجد له قاعدة شعبية يمكن أن تخدم ذريته في بناء دولة ، وليس من شك أن حكم آل معن لعدن واستقلالهم بها لم يكن ليتم دون عصبية قوية ، هي على الأرجح إحدى القبائل المجاورة لعدن ، لذا فلا يستبعد كونهم من الأصابح من حمير كما ذكر الأكوع .

ـ دولة بني زريع: 470 ـ 569 هـ/1077 ـ 1173م:

بنو زريع يمانيون من قبيلة همدان استخدمهم الصليحيون أمراء على عدن بعد أن أمر المكرم الصليحي بتقسيمها إلى منطقتين، المنطقة الأولى ومقرها حصن التعكر في أعلى جبل شمسان المطل على عدن، تولى حكمها العباس بن المكرم اليامي الهمداني المعروف بابن زريع وأفراد أسرته من بعده. والثانية مقرها حصن الخضراء بعدن أيضاً، وكان الحكم فيها للمسعود بن المكرم اليامي الهمداني ولأفراد أسرته من بعده على أن يسوق كل منهم مبلغاً معيّناً من المال لبني صُلَيح، وبعد وفاة الملكة أروى الصليحية استقل بنو زريع بتلك النواحي إلى أن قضي على دولتهم من قبل طوران شاه شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 569هـ/1173م، وقد بلغ عدد حكّام هذه الأسرة في كلا القسمين أحد عشر سلطاناً، آخرهم أبو الدر جوهر المعظمي مولى بني زريع.

لما قتل الصليحي تغلّب بنو معن على عدن فحاربهم المكرم وأخرجهم منها وولاها العباس ومسعود بني الكرم بن زريع بن جشم بن يام الهمداني فجعل للعباس باب التعكر وباب البر وما يدخل منه وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه (1) واستخلفهما للسيدة أروى [على] أن يسوق كل منهما إليها خمسين ألف دينار كل عام (2) ثم كانا واليا عدن من قبل الحُرة وقد قتلا على باب زبيد [في واقعة الكظائم] .وتولى أمر عدن بعدهما أبو السعود بن زريع بن العباس وأبو الغارات بن مسعود بن سمع (3) فلما فكرا في التغلب على ارتفاع عدن حاربها المفضل واستخلص نصف ارتفاع عدن، ولما مات المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثاني ، فصار إليهم أسعد بن أبي الفتوح وصالحهم على الربع ، ثم تغلب أهل عدن على الربع الباقي بعد ثورة الفقهاء (4) ، وكان بنو زريع رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام ابن اصبا وكانت لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في عهد علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم واليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاحية (5) وكان منصور ابن المفضل ابن أبي البركات الحميري مستولي على ذي جبلة وملك بني المظفر في اشيح وحصونهم بعد وفاة أبيه وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها . وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال . ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، واعيته الشيخوخة عن التحرك ، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة سبعة وأربعين وخمسمائة ، وهي ثمانية وعشرون حصناً ومدائن ، منها مدينة ذي جبلة وحصن التعكر وذي اشرق واب ، وقد ابتاعها المتوج محمد ابن سبأ ابن أبي السعود الزريعي (الجشمي) بمئة ألف دينار . وطلق منصور زوجته الصليحية الأميرة اروى [وهي أروى الصغرى ] (6) فتزوجها الملك محمد بن سبأ فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم وما ورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبأ الزريعي ثم إلى أبنه عمران بن محمد بعد وفاة أبيه في سنة ستين وخمسمائة. فقوى نفوذ الملك محمد بن سبأ الزريعي تبعاً لذلك وطاش فرحاً لما صار إليه من المال والمعاقل والعقائل (7)"....ولم تقف عرقلة الحافظ عبد المجيد للدعوة اليمنية عند هذا الحد ، بل اتصل ببني زريع في عدن واستعان بهم في نشر الدعوة باسمه. وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبأ بن أبي السعود الزريعي الجشمي (اليامي) الذي نصبه داعياً له في اليمن (8) . وكان السلطان سبأ بن أبي السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ . وقد ذكر انه لم يجب عبد المجيد ويدعو إليه إلا تقية وخوفاً فخاف سطوته وعدوانه، وأنه كان باقياً على طاعة الإمام الطيب أبي القاسم (9) . - ولكنه ( أي الحافظ حرص على أن تكون له دعوة في اليمن فكتب إلى السلطان سبأ ابن أبي السعود الزريعي صاحب عدن أن يقيم له الدعوة فأجابه إلى ذلك ومعه الهمدانيون في صنعا [وهم ملوك صنعاء بني حاتم ] وان كانوا يظهرون ذلك تقية بينما هم يأتمرون بأمر السيدة الحرة (10) .كما أستمال الحافظ الزريعي للدعوة له أطلق عليه لقب الداعي ، وظل هذا اللقب ملازماً لخلفائه من بعده(11)
\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_
1- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص 164 ،(حاشية ).
2- اليمن عبر التاريخ ص 204 .
3- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص164،(حاشية ).
4- تاريخ المذاهب الديننية في اليمن ص 187.
5- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص191 ،(حاشية ).
6- )الأميرة اروى بنت علي بن عبدالله بن محمد الصليحي ) اما الملكة فهي اروى بنت احمد بن محمد بن القاسم الصليحي .
7- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صــ 240/241ـــ ،(حاشية ).
8- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص191،(حاشية ).
9- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص191 ،(حاشية ).
10- المذاهب الدينية في اليمن ص186.
11- تاريخ المذاهب الدينية في اليمن ص187.

ـ دولة بني حاتم: 494 ـ 569هـ/1100 ـ 1173م

تنسب هذه الدولة إلى حاتم بن علي المغلس الهمداني الذي استغل وفاة سبأ ابن أحمد الصليحي سنة 492هـ/1098م، فتغلب على صنعاء وما حولها، وأسس ما يعرف بدولة بني حاتم التي بلغ عدد سلاطينها ستة، آخرهم علي بن حاتم ابن أحمد بن عمر، انتهت باستيلاء الأيوبين على أملاكهم، وإلى أحمد بن حاتم بن علي المغلس مؤسس الدولة تنسب روضة حاتم المتنزّه المعروف شمال صنعاء اليوم.

ـ دولة بني مهدي 553 ـ 569هـ/1158 ـ 1173م

ينسب بنو مهدي إلى مهدي بن محمد الرعيني الحميري الزاهد المتبتل من أهل قرية العنبرة بوادي سهام. أما الدولة فقد نشأت على يد ولده علي بن مهدي الذي تمرد على بني نجاح، وحث قومه على احتلال عاصمتهم زبيد، فتم له ذلك ودخلها عنوة، وتابع ولده من بعده، فقام بإرسال الحملات إلى تعز وإب والجند والمعافر، وقد استمرت دولة بني مهدي أكثر من خمسة عشر عاماً تداول الحكم فيها أربعة سلاطين، آخرهم عبد الله بن علي بن مهدي الذي زالت الدولة في عهده بدخول طوران شاه الأيوبي إلى زبيد سنة 569هـ/1173م.